جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

• رؤية تحليلية نقدية لمنظور المستشرق الألماني • آدم متز" عن المرأة في كتابه: " نهضة الإسلام" أو الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري "

إعداد

د/ صلاح عبد المولى السيد الشورى
المدرس في قسم التاريخ والحضارة - كلية اللغة العربية بالقاهرة

(العدد الخامس والثلاثون)
(الإصدار الثاني .. أكتوبر)
(١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م)

علمية- محكمة- نصف سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

« رؤية تحليلية نقدية لمنظور المستشرق الألماني «آدم متز» عن المرأة في كتابه: " نهضة الإسلام" أو الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ».

صلاح عبد المولى السيد الشورى

قسم التاريخ والحضارة، كلية اللغة العربية، القاهرة، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: salahalshura@azhar.edu.eg

الملخص:

يعد الحديث عن المرأة المسلمة من الموضوعات المهمة المتعلقة بجوانب الحضارة الإسلامية، فهي تعد ركيزة أسياسية من الركائز التي تُكَوِّن المجتمع المسلم. كما يعد القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي من أهم الفترات التي شهدت دورًا مهمًا للمرأة؛ فقد لعب النساء دورًا مهمًا في جميع المجالات الحضارية، وكان رأسها المجال السياسي، فقد تدخلت المرأة في شئون الحكم والسيطرة على خلفائه، فأصبحت المرأة تولي الخلافة من تشاء وتعزل منها من تريد، أو تغير قرارا يصدر من الخليفة لصالح طموحاتها في بسط سيطرتها ونفوذها؛ الأمر الذي كان له أثاره الوخيمة على الدولة العباسية. ولم يقتصر دور المرأة على النساء الحرائر، بل شاركهنَ فيه الجواري والقهرمانات؛ فقد لعبن – أيضا– دورًا كبيرًا في السيطرة على بعض الخلفاء؛ فسلبن عقولهن وجعلوهم كالدمية في أيديهن يحركْنَها وفق أهوائهن، فأصبحْنَ يولِّينَ الخلفاء ويعزلْنَهم، ويرغمنهم على عزل أرباب المناصب الرفيعة في الدولة كالوزراء والأمراء والقادة، ولم يهمل المستشرقون الحديث عن دور المرأة في حضارتنا الإسلامية، فكتبوا عن جميع تفاصيل حياتها وإسهاماتها في المجالات الحضارية المختلفة. ومن هؤلاء المستشرق الألماني «آدم متز» Adam Metz الذي كتب عن المرأة في الحضارة الإسلامية في كتابه(الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري)

أو (نهضة الإسلامDie Renaissance Des Islam). فقد تحدث عن المرأة ودورها تفصيلا في مواطن كثيرة، وموزعه على فصول الكتاب الذي كتبه عن الحضارة الإسلامية خلال القرن الرابع الهجري، فتحدث عن دورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعلمي. وقد اتبع الباحث المنهج التحليلي النقدي القائم على جمع المعلومات المتعلقة بالمرأة من الكتاب وتحليلها، ثم مقارنتها مع المصادر التاريخية لبيان مدى صحتها من عدمه.

الكلمات المفتاحية: آدم متز، المستشرقون، الاستشراق الألماني، سيدات القصر، الجواري، القهرمانات، البغاء.

«A critical analytical view of the German orientalist Adam Metz's perspective on women in his book: "The Renaissance of Islam" or Islamic Civilization in the Fourth Hijri Century».

Salah Abdel Mawla El Sayed Al Shura
Department of History and Civilization, Faculty of Arabic Language, Cairo, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt
Email: salahalshura@azhar.edu.eg

Abstract:
Talking about Muslim women is one of the important topics related to the aspects of Islamic civilization, as it is one of the pillars that make up the Muslim community. The fourth century AH / tenth century AD is one of the most important periods that witnessed an important role for women. Women have played an important role in all fields of civilization, and the political field was chief among them. Women have interfered in the affairs of government and control of his successors. Women have become the caliphate who they want and isolate from them whomever they want, or they change a decision issued by the Caliph in favor of their ambitions to extend their control and influence; Which had dire effects on the Abbasid state. And the role of women was not limited to free women, but the slave girls and lords participated in it. They also played a major role in controlling some of the caliphs; So they robbed their minds and made them like puppets in their hands, moving them according to their whims, so they started appointing and isolating the caliphs, and forcing them to isolate the lords of high positions in the state such as ministers, princes and leaders. Among them is the German orientalist, Adam Metz, who wrote about women in Islamic civilization in his book "Islamic Civilization in the Fourth Hijri Century" or "Die Renaissance Des Islam." He talked about women and their role in detail in many places, and distributed them in the chapters of the book he wrote about

Islamic civilization during the fourth century AH, so he talked about her political, economic, social and scientific role. The researcher followed the critical analytical approach based on collecting and analyzing information related to women from the book, and then comparing them with historical sources to show whether they are correct or not.

Keywords: Adam Metz, Orientalists, German Orientalism, Ladies Of The Palace, Female Slaves, Female Servants, Prostitution.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق، سيدِنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من والاه واتبع هداه إلى يوم الدين.

وبعد،

يعد الحديث عن المرأة المسلمة من الموضوعات المهمة المتعلقة بجوانب الحضارة الإسلامية، فهي تعد ركيزة أساسية من الركائز التي تُكَوِّن المجتمع المسلم. وقد عمل الإسلام على تكريم المرأة واحترامها، فالعديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية قد دعت لاحترام المرأة والحفاظ على حقوقها ومكانتها.

يعد القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي من أهم الفترات التي شهدت وصول الحضارة الإسلامية إلى أوج ازدهارها في كثيرٍ من المجالات الحضارية، كما شهد هذا القرن دورًا مهما للمرأة؛ فقد لعب النساء دورًا مهمًا في المجال السياسي بتدخلهن في شئون الحكم والسيطرة على خلفائه، فأصبحت المرأة تولي الخلافة من تشاء وتعزل منها من تريد، أو تغير قرارا يصدر من الخليفة لصالح طموحاتها في بسط سيطرتها ونفوذها؛ الأمر الذي كان له آثاره الوخيمة على الدولة، فكان من أحد أهم الأسباب إلى أدت إلى ضعف الخلافة العباسية – خلال القرن الرابع الهجري– ووقوعها فريسة في يد أعدائها الذين يريدون إسقاطها أو بسط نفوذهم عليها.

ولم يقتصر دور المرأة السياسي –خلال هذه الفترة– على النساء الحرائر، بل شاركهنَ فيه الجواري والقهرمانات والسراري[1]؛ فقد لعبن –أيضا– دورًا كبيرًا في السيطرة على كثير من الخلفاء؛ فسلبن عقولهن وجعلوهم كالدمية في أيديهن يحركْنَها وفق أهوائهن، فأصبحْنَ يولِّينَ الخلفاء ويعزلْنَهم، بل ويرغمنهم على عزل أرباب المناصب الرفيعة في الدولة كالوزراء والأمراء والقادة وسجنهم، بل إنهن

(١) سيأتي الحديث عن تعريفهن خلال هذا البحث إن شاء الله.

كُنَّ بمثابة السجانات اللاتي يقمن على حبسهم والإشراف على تعذيبهم إن اقتضى الأمر.

ولم يقتصر دور المرأة على المجال السياسي فقط، بل كان لها دور مهم في المجال الاقتصادي، فكانت تمارس المهن المختلفة كالزراعة والصناعة والتجارة.

أما الدور الاجتماعي فقد تراوح ما بين دور إيجابي وفعال، مثل دورها في مجال أسرتها وعلاقتها بزوجها وأبنائها، وكذلك الاهتمام بالفقراء والمحتاجين والأرامل والأيتام، وإنشاء منشآت لتقديم جميع سبل رعايتهم والاهتمام بهم. وما بين دور سلبي في محيط المجتمع الذي عاشت فيه؛ حيث كانت سببًا في انتشار العديد من القيم المخالفة للشريعة الإسلامية، والآداب العامة، والفطرة الإنسانية السليمة؛ مثل ظاهرة البغاء التي كانت المرأة قوامها في أماكن متعددة في الدولة الإسلامية.

ولم يهمل المستشرقون الحديث عن دور المرأة –سواء كن من الحرائر أو الجواري والقهرمانات

والسراري– في حضارتنا الإسلامية، فكتبوا عن جميع تفاصيل حياتها وإسهاماتها في المجالات الحضارية المختلفة.

ومن هؤلاء المستشرقين المستشرق الألماني «آدم متز» (Adam Metz) الذي كتب عن المرأة في الحضارة الإسلامية في كتابه(الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري) هو العنوان الذي وضعه مترجم الكتاب «محمد عبد الهادي أبو ريدة» هو الاسم الذي اعتمده الباحث لكونه عنوانًا للكتاب المترجم الذي اعتمد عليه في البحث–، أو (نهضة الإسلام Die Renaissance Des

Islam) وهو العنوان الذي وضعه «آدم متز» للكتاب[1]. فقد تحدث عن المرأة ودورها تفصيلا في مواطن كثيرة، وموزعه على فصول الكتاب الذي كتبه عن الحضارة الإسلامية خلال القرن الرابع الهجري، فتحدث عن دورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعلمي.

وما يعطي الحديث عن آدم متز وكتابه أهمية أن الكتاب قد نال اهتمام العديد من الباحثين، فقد ترجم لعدد من اللغات كالإنجليزية والإسبانية بالإضافة إلى ترجمته للغة العربية، فقد كان من مميزات المؤلف بجانب كونه أحد أعلام المدرسة الألمانية للاستشراق، أنه أعطى اهتمامًا كبيرًا للحديث عن الحضارة الإسلامية، فقد شُغل طوال حياته بها، فوضع العديد من المؤلفات التي اهتمت باللغة العربية آدابها، والتاريخ الإسلامي وحضارته، بالإضافة إلى اعتماده على العديد من المصادر العربية التي كان كثير منها آنذاك لايزال مخطوطًا ومحفوظاً في أرفف وأدراج المكتبات الأوربية لم يتسَنَ لأحد الاطلاع عليها.

ونتيجة لأهمية «آدم متز» وكتابه عن الحضارة الإسلامية فقد جاء هذا البحث تحت عنوان« رؤية تحليلية نقدية لمنظور المستشرق الألماني «آدم متز» عن المرأة في كتابه: " نهضة الإسلام" أو الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري » ، وقد قام الباحث بتقسيم البحث إلى تمهيد وثلاثة مباحث، وخاتمة لأهم النتائج التي توصل إليها البحث، وملاحق للدراسة، ثم يعقبها قائمة للمصادر والمراجع.

أما التمهيد، فجاء الحديث فيه عن تعريف الاستشراق والمستشرقون، والاستشراق الألماني من حيث نشأته وتطوره وخصائصه، وكذلك عن «آدم متز» من حيث: اسم المؤلف ومولده ونشأته وحياته العلمية ثم وفاته. وكتابه

(١) سيأتي الحديث عن العنوان والاختلاف في التسمية خلال التمهيد من هذا البحث إن شاء الله.

« الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري» من حيث: أصل التسمية وترجمته لعدد من اللغات، ثم وصْفِ الطبعة التي سيعتمد عليها الباحث خلال البحث.

أما المبحث الأول: فجاء تحت عنوان: «دور سيدات دار الخلافة وجواريها»، وجاء الحديث فيه عن النساء في دار الخلافة العباسية، ودور المرأة في حياة الخلفاء باعتبارها زوجة للخليفة، أو أمًّا له، وكذلك عن الجواري وسلطتهن في حياة الخلفاء خلال القرن الرابع الهجري.

أما المبحث الثاني: فيأتي تحت عنوان: « دور نساء وجواري العامة»، وتناول الحديث عن نساء وجواري العامة ودورهن في الميدان السياسي والاجتماعي والاقتصادي والعلمي.

وجاء المبحث الثالث تحت عنوان: « آدم متز ومنظوره عن المرأة في كتابه الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري في الميزان»، وجاء الحديث فيه عن تحليل منظور آدم متز ومنهجه عند حديثه عن المرأة ودورها في الحضارة الإسلامية؛ لبيان مدى غلبة نزعة التعصب التي كان عليها كثير من المستشرقين من عدمها.

منهج الباحث:

اتبع الباحث المنهج التاريخي القائم على التحليل والنقد، وتتبع المعلومات التي أوردها «آدم متز» في كتابه عن المرأة ودورها في الحضارة الإسلامية، ثم موازنتها مع ما ورد في المصادر العربية؛ لبيان مدى صحة ما جاء به المؤلف من عدمه.

الدراسات السابقة:

لاشك في أنه يوجد العديد من الدراسات والأبحاث العلمية التي تناولت دور المرأة في الحضارة الإسلامية وكذلك آدم متز وكتابه « الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري»، ومن هذه الدراسات:

١ـ كتاب «سيدات البلاط العباسي»، لمؤلفه: مصطفى جواد، دار الكشاف للطباعة والنشر، بيروت، د. ط، عام ١٩٥٠م. تحدث فيه عن نساء الخلفاء ودورهن في الخلافة العباسية حتى سقوطها عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م.

٢ـ كتاب «دور الجواري والقهرمانات في دار الخلافة العباسية» للباحثة: سولاف فيض الله حسن، نشر مكتبة عدنان، بغداد، ط١، عام ٢٠١٣م. تحدثت فيه عن الجواري والقهرمانات ودورهن في الخلافة العباسية حتى سقوطها عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م.

٣ـ «رؤية آدم متز للحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري» للباحث: مصطفى لبيب، مجلة تراثيات، العدد ١٠، عام ٢٠٠٧م، تحدث فيه بصورة مقتضبة عن فصول الكتاب وما يشتمل عليه كل فصل.

٤ـ «النساء في عهد الخليفة المقتدر العباسي (شغب أنموذجا)» للباحثة: تيسير محمد شادي، بحث منشور بمجلة كلية الآداب، جامعة بنها، العدد٢٧، عام ٢٠١٧م. تحدث فيه بصفة خاصة عن السيدة شغب والدة الخليفة المقتدر ودورها في حياة ابنها، وكذلك دورها السياسي والحضاري.

٥ـ « موارد ومنهجية المستشرق الألماني آدم متز عن الأحوال الاجتماعية لأهل الذمة في كتابه الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري» للباحث: يوسف كاظم الشمري، بحث منشور بمجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل، العراق، المجلد ٧، العدد١، عام ٢٠١٧م. تحدث فيه عن موارد «آدم متز» عن أهل الذمة في المجتمع الإسلامي.

٦ـ «الأحوال الاجتماعية لأهل الذمة من منظور المستشرق الألماني آدم متز بكتابه نهضة الإسلام– دراسة تحليلية نقدية»، للباحث: يوسف كاظم الشمري، بحث منشور بمجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل ، العراق، العدد ٣١ عام ٢٠١٨م. تحدث فيه عن أحوال أهل الذمة في المجتمع الإسلامي من خلال ما كتبه المستشرق «آدم متز».

٧ـ «موقف الخليفة الحاكم بأمر الله من النساء»، للباحثة: مها عبد الله الشرقي، بحث منشور بمجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، العدد١، مجلد ٤٤، عام٢٠١٩م. تحدثت فيه عن المرأة في عهد الحاكم بأمر الله والاجراءات التعسفية التي اتخذها الحاكم تجاه المرأة في مصر.

وهذه الدراسات على كثرتها لم تتناول المرأة المسلمة من منظور المستشرق الألماني آدم متز، وهو ما سوف يتم تناوله خلال هذا البحث إن شاء الله.

تمهيد

أولا: تعريف الاستشراق والمستشرقون:

الاستشراق في اللغة:

مصدر للفعل استشرَق والمعنى طلب الشرق(١)، وهو مأخوذ من: شرقت الشمس تشرُق شروقًا وشَرُقاً، وأشرقت إذا أضاءت، والشْرق جهة شروق الشمس، أي طلوعها وشرَّق أخذ في ناحية المشرق(٢).

وبعد البحث في الأصل اللغوي لكلمة الاستشراق يمكن القول: إن الكلمة بمعناها اللغوي الدال علي المفهوم الاصطلاحي لم ترد في المعاجم اللغوية العربية؛ بل ورد جذور أصل الكلمة فقط وهو شرق. ولكن بالاستناد لقواعد علم الاشتقاق؛ فالاستشراق مصدر للفعل استشرق، وهو طلب الشرق، كما يقال: استفهم إذا طلب الفهم، واستنصر إذا طلب النصرة، واسم الفاعل من استشراق " مستشرق"، وهو الذي يطلب الشرق(٣).

الاستشراق اصطلاحا:

يرى بعض الباحثين أنه لا يمكن وضع تعريف واضح لمفهوم الاستشراق بحيث يمكن معه إطلاق هذا المصطلح على ظاهرة بعينها؛ فوضْعُ تعريف له

---

(١) أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، بيروت، ط١، عام ١٤٢٩هـ /٢٠٠٨م، ج٢، ص١١٩٢(مادة شرق).

(٢) الفارابي" إسحاق بن إبراهيم بن الحسين، ت:٣٥٠هـ/٩٦١م" الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ، بيروت، ط٤، عام ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ج٤، ص١٥٠٠، ابن منظور " محمد بن مكرم بن على، ت:٧١١هـ/١٣١١م" لسان العرب ، دار صادر، بيروت ، ط٣، عام ١٤١٤هـ، ج١٠، ص١٧٣.(مادة شرق).

(٣) أمجد يونس الجنابي: آثار الاستشراق الألماني في الدراسات القرآنية، نشر مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، ط٢، عام ٢٠١٥م، ص١٩.

يعد أمرًا عصيا أو ضربًا من المحال لأنه لا يوجد له تعريف مانع جامع، فكل تعريف ذكره المختصون بدراسة الاستشراق وجه إليه انتقاد حاد من طرفٍ آخر(١)، أو لأن منهم من عرفه بصورة تتسم بالعمومية في مفهومه من حيث دراسته للحضارات الشرقية بصفة عامة أو الإسلامية بصفة خاصة(٢).

لذا فقد تعددت التعريفات التي ذكرها المتخصصون في هذا العلم(٣)، فمنهم من عرفه بأنــه:

مصطلح أو مفهوم عام يطلق على اتجاه فكري يُعنى بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة، ودراسة حضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة(٤).

وعرفه أخرون بأنه: عبارة عن قيام علماء غربيين غير مسلمين بإجراء دراسات ذات أبعاد مكانية تركز على دراسة الدين الإسلامي، ومختلف جوانب

(١) ساسي سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي" الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية"، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط١، عام٢٠٠٢م، ج١، ص١٧ .

(٢) إسماعيل علي محمد: الاستشراق بين الحقيقة والتضليل " مدخل علمي لدراسة الاستشراق" ، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٦، عام ٢٠١٤م، ص١٠.

(٣) للمزيد عن التعريفات المختلفة للاستشراق راجع: إدوارد سعيد: الاستشراق، ترجمة محمد عناني، نشر دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة ، ط١، عام ٢٠٠٦م، أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر، القاهرة، ط١، د.ت، ص٥١٢، محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخليفة الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، ط١، د.ت، ص١١؛١٢.

(٤) عدنان محمد وزان: الاستشراق والمستشرقون(وجهة نظر)، نشر رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، عام١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص١٥.

حياة المسلمين من حيث التاريخ، والشريعة، والحضارة، وتستهدف دراستهم المسلمين من العرب وغير العرب(١).

وجاء في الموسوعة العربية أن الاستشراق هو: ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته. ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما(٢).

وعرفه المستشرق الألماني «رودي بارت» Rudi Paret (١٩٠١-١٩٨٣م) بأنه: «علم يختص بفقه اللغة خاصة، ولابد لنا إذن أن نفكر في المعنى الذي أطلق عليه كلمة استشراق المشتقة من كلمة شرق، وكلمة شرق تعني مشرق الشمس، وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي»(٣).

أما المستشرقون فقد تعددت التعريفات التي وضعها الباحثون لهم، ومنها تعريف مالك بن نبي الذي عرفهم بقوله: «الكُتَّاب الغربيون الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية»(٤).

---

(١) صلاح الدين عاشور: الاستشراق والمستشرقون بين الهوى والتجرد، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، ط١، عام ٢٠٢١م، ص١١.

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف ومراجعة: مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة، الرياض، ط٤، عام١٤٢٠هـ،ج٢، ص٦٨٧.

(٣) الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية "المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه"، ترجمة مصطفى ماهر، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، عام ٢٠١١م، ص ١٧.

(٤) إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد للطباعة، بيروت، ط١، عام ١٩٦٩م، ص٥.

وعرفهم قاسم السامرائي بأنهم: هم الباحثون في أي فرع من فروع المعرفة التي تتعلق من قريب أو بعيد بهذا الشرق(١).

إلى غيرها من التعريفات التي تدور حول مفهوم واحد وهو أن المستشرق: ذلك الباحث في أي فرع من فروع المعرفة التي تتعلق من قريب أو بعيد بالشرق بصفة عامة، والشرق الإسلامي بصفة خاصة.

ثانيا الاستشراق الألماني (نشأته وتطوره وخصائصه):

١ـ نشأته وتطوره:

لقد اختلفت الآراء حول بداية نشأة الاستشراق والدوافع الحقيقة والأسباب المعلنة وراء اهتمام علماء الغرب بالمشرق الإسلامي، وقد تناولت العشرات من المؤلفات هذه الأسباب والدوافع والنظريات التي ذكرها المتخصصون حول بداية اهتمام الغرب المسيحي بالشرق الإسلامي(٢).

ونظرًا لأن المؤلف والكِتَاب –موضوع البحث– ينتميان للمدرسة الاستشراقية الألمانية، فسوف يركز الباحث في هذا العنصر من الدراسة على الاستشراق الألماني؛ من حيث: نشأته ومراحل تطوره ثم الخصائص التي تميز بها عن المدارس الاستشراقية الأخرى في الغرب الأوروبي.

---

(١) الاستشراق بين الموضوعية والإفتعالية، منشورات دار الرفاعي، سوريا، ط١، عام ١٩٨٣م، ص١٠٨، وللمزيد عن التعريفات المختلفة للمستشرقين، راجع: إسماعيل علي محمد: الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، ص١٣، عدنان محمد وزان: الاستشراق والمستشرقون، ص١٧، صلاح الدين عاشور: الاستشراق والمستشرقون، ص١١.

(٢) للمزيد عن نشأة الاستشراق ودوافعه، راجع، قاسم السامرائي: الاستشراق بين الموضوعية والإفتعالية، ص١٠٨، إسماعيل علي محمد: الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، ص١٣، وما بعدها، عدنان محمد وزان: الاستشراق والمستشرقون، ص١٧وما بعدها، ساسي سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي، ج١، ص١٧ وما بعدها.

اختلفت آراء الباحثين حول نشأته: فبعضهم يرجعه إلى اتصال ألمانيا[١] بالشرق الإسلامي عندما اشتركت في الحملة الصليبية الثانية(٥٤٢-٥٤٤هـ/١١٤٧-١١٤٩م) [٢]، التي جاءت على العالم الإسلامي، وبعد عودة الجنود والحجاج الذين اشتركوا فيها، قاموا بنقل ما شاهدوه من حضارة عظيمة في هذه البلاد؛ الأمر الذي أدى بالرهبان في بلاد الأندلس -ومنهم الألمان- إلى النقل والترجمة والكتابة عن هذه الشعوب التي التقوا بها أثناء الحملة[٣].

ولكن البداية الحقيقة للاستشراق الألماني كانت خلال القرن الثامن عشر الميلادي، حينما قصد مجموعة من الألمان هولندا، حيث تعلموا بها اللغات الشرقية، ولما عادوا إلي بلادهم نشروها في جامعتهم وأخرجوها من مجرد الاقتصار على مجال الترجمة للتوراة إلى الاهتمام بجميع مجالات الثقافة العامة[٤].

---

(١) تقع ألمانيا وسط قارة أوروبا، ويحدها من الشمال بحر البلطيق ودولة الدنمارك، ومن الغرب هولندا، وبلجيكا، وفرنسا ولكسمبورج، ومن الجنوب النمسا وسويسرا، ومن الشرق دولتي بولندا والتشيك. وتبلغ مسحتها حوالي٣٥٠ ألف كم٢، وتعد أكبر دول أوروبا من حيث عدد السكان فيبلغ عدد سكانها حوالي اثنين وثمانين مليون(٨٢) نسمة تقريبا، وتعد مدينة برلين العاصمة الاتحادية لها. الموسوعة العربية الميسرة، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، عام ٢٠١٠م، ج١، ص ٣٩٦-٣٩٨.

(٢) قاد هذه الحملة اثنان من ملوك أوروبا هما: لويس السابع ملك فرنسا، وكونراد الثالث إمبراطور ألمانيا، وذلك بعد سقوط إمارة الرها في يد القائد عماد الدين زنكي. للمزيد راجع، ستيفن رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة، نور الدين خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، د.ت، ج٢، ص٢٨٧، سهيل زكار: الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق، ط١، عام ١٩٩٥م، ج٧، ص ٥٠ وما بعدها.

(٣) نجيب العقيقي: المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ط٣، عام ١٩٦٤م، ج٢، ص ٦٨٧.

(٤) نجيب العقيقي: المستشرقون، ج٢، ص ٦٧٩، يحيى عبد الرؤوف جبر، الاستشراق في جامعة توبنجن الألمانية(المعهد الشرقي)، بحث منشور ضمن منشورات عالم الكتب، الرياض، عام ١٩٩٤م، ملجد١٥، عدد٦، ص٦٠٣.

كما ظهر خلال هذا القرن مجموعة من كبار المستشرقين الألمان[١] الذين اهتموا بدراسة الشرق الإسلامي؛ من حيث: لغته وتاريخه وحضارته، وعلى رأسهم المستشرق رايسكة Reiske(١٧١٦-١٧٧٤م) [٢] الذي لعب دورًا مهما في تطور الاستشراق الألماني خلال هذا القرن[٣].

وفي القرن التاسع عشر الميلادي خطا الاستشراق الألماني خطوة كبيرة في التطور، فقد حفل بالتنوع والتقدم في دراساته الشرقية، وتحول من مجرد دراسة اللغات إلى جمع وتحقيق النصوص ثم دراسة جغرافيا البلدان الشرقية، والاهتمام بتاريخها وواقعها السياسي والاجتماعي ودور الأديان فيها، واستحداث المزيد من كراسي اللغات الشرقية في الجامعات الألمانية، حتى أصبح هذا القرن هو عصر الازدهار والإنتاج الخصب للاستشراق الألماني[٤]. كما شهد ظهور مجموعة جديدة من كبار المستشرقين الألمان وعلى رأسهم، المستشرق «جوستاف تيخسن» Gostaff (١٧٣٤-١٨١٥م) بجامعة روستوك[٥]، والمستشرق

(١) راجع قائمة بأسماء المستشرقين الألمان بملاحق الدراسة.

(٢) جوهان جاكوب رايسكة: مستشرق ألماني من الرعيل الأول للمستشرقين الألمان، ولد عام ١٧١٦م في مدينة أستوربك، تعلم اللغة اللاتينية واليونانية بأحد دور الأيتام، كما تعلم اللغة العربية دون معلم بمدينة ليبزيج. كان من المهتمين بشراء الكتب العربية، حتى إنه كان ينفق كل أمواله في سبيل الحصول عليها. توفي عام ١٧٧٤م. عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، عام١٩٩٣م، ص٢٩٨، يحيى مراد: معاجم أسماء المستشرقين، نشر المؤلف، ط١، د.ت، ص ٥٨٧-٥٨٩.

(٣) نجيب العقيقي: المستشرقون، ج٢، ص ٦٧٩.

(٤) صلاح الدين المنجد: المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، عام ١٩٨٧م، ج١، ص ٧.

(٥) نجيب العقيقي: المستشرقون، ج٢، ص ٦٧٩.

«هـاينريخ فلايشـر» Fleischer (١٨٠١ –١٨٨٨م)[١]، وفسـتنفلد Wüstenfeld(١٨٠٨–١٨٩٩م) [٢] وغيرهم[٣].

ومع بداية القرن العشرين الميلادي بدأ الاستشراق الألماني يخطو خطوة أخرى نحو التطور؛ نتيجة لعدد من العوامل السياسية مثل تطور العلاقة بين ألمانيا والدولة العثمانية، وزيادة الخلافات الاستعمارية مع الدول الكبرى آنذاك– انجلترا وفرنسا–، بالإضافة إلى ظهور جيل آخر من المستشرقين الألمان المُطَّلعين إلى معالجة المشاكل المعاصرة في الشرق الأوسط الذين جمعوا بين الاستشـراق والدبلوماسـية[٤]. ومـن أشـهرهم: «تيـودور نولدكـة» Theodor

(١) هاينريخ لبرخت فلايشر: ولد في مدينة شانداو عام ١٨٠١م، تعلم على يد دي ساسي وبرسفال. وعاد إلى ألمانيا سنة ١٨٢٨م فدرس في جامعة ليبزيج نحو خمسين عامًا. وقد زادت معارفه عن الشرق حينما اختلط بالشباب المصريين الذين أوفدهم محمد على إلى أوروبا للدراسة بها. وكان له الفضل في تأسيس الجمعية الشرقية الألمانية للدراسات الشرقية عام ١٨٤٥م. توفي عام ١٨٨٨م. نجيب العقيقي: المستشرقون، ج٢، ص٦٨٧، يحيى مراد: معاجم أسماء المستشرقين، ص٧٩٦ .

(٢) هاينريش فيرديناند فوستنفيلد: مستشرق ألماني كبير، ولد عام ١٨٠٨م بمقاطعة هانوفر، اهتم بدارسة اللغات الشرقية خاصة العربية والعبرية والسريانية، وعُين أستاذا للعربية في غوتا (Gotha) وخدم العربية خدمة عظيمة بنشره نحو مئتين من كتبها النفيسة، منها "معجم ما استعجم " للبكري الأندلسي و"السيرة " لابن هشام"، و" طبقات الحفاظ " للذهبي، وغيرها. كُف بصره في أواخر حياته حتى توفي١٨٩٩م. عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص٣٩٩، خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥، عام ٢٠٠٢م، ج٨، ص٩٨.

(٣) نجيب العقيقي: المستشرقون، ج٢، ص ٦٧٩، صلاح الدين المنجد: المستشرقون الألمان، ص٧.

(٤) رضوان السيد: المستشرقون الألمان" النشوء والتأثر والمصائر"، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط٢، عام ٢٠١٦م، ص٣٦؛٣٧ .

Noldeke (١٨٣٦-١٩٣١م) [١]، وبروكلمـــــانBrockelmann (١٨٦٨-١٩٥٦م)[٢].

ومـا أن قامـت الحـرب العالميـة الثانيـة(١٩٣٩-١٩٤٥م) حتـى بـدأ الاستشراق الألماني في الركود؛ وذلك لانشغال الكثير من المستشرقين في الحرب ومقتل بعض منهم[٣]. وما أن انتهت الحرب حتى بدأ الاستشراق الألماني يستعيد قوته، ويأخذ منحى جديدا: وهو التركيز على الدراسات السياسية والاقتصادية، وعلى موضوعات جديدة لم يكن الاستشراق الألماني يوليها اهتمامًا في مراحله السابقة، فقد بدأ كثير من شباب الباحثين الألمان في التوجه نحو الدراسات الشرقية؛ مما استدعى الحكومة الألمانية إلى التوسع في إنشاء جامعات جديدة

(١) يعد نولدكة شيخ المستشرقين الألمان، ولد عام ١٨٣٦م بمدينة هاربوج، لعائلة مهتمة بالتعليم والثقافة. كان نولدكة من المهتمين بالدارسة والعلم منذ صغره، فبعد تخرجه من الجامعة التحق بالدراسات العليا حتى حصل على الدكتوراه عام ١٨٥٦م وهو في سن العشرين من عمره عن رسالة تقدم بها بعنوان (تاريخ القرآن)، والتي نشرها بعنوان: تاريخ النص القرآني، ومن مؤلفاته أيضا: في سبيل فهم الشعر الجاهلي، وقواعد إحدى اللهجات الآرامية. توفي عام ١٩٣١م. عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص٥٩٥-٥٩٨

(٢) كارل بروكلمان: ولد عام ١٨٦٨م في مدينة روستوك الألمانية، ظهرت ميوله إلى الدراسات الشرقية وهو في المدرسة الثانوية، فدرس على أستاذه نولدكة الشرقيات، وبعد حصوله على الدكتوراه، كلفه أستاذه نولدكه دراسةَ العلاقة بين كتاب «الكامل في التاريخ» لابن الأثير، وكتاب «تاريخ الرسل والملوك» للطبري. وقد نالت رسالته هذه جائزة تقديرية وطبعت في ستراسبورغ عام ١٨٩٠م؛ وعلى أثر ذلك عين بروكلمان مدرساً في المدرسة الثانوية البروتستنتية في تلك المدينة. ومن أهم مؤلفاته: تاريخ الأدب العربي. توفي عام ١٩٥٦م. عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص٩٨-١٠١، نجيب العقيقي: المستشرقون، ج٢، ص٧٧٧-٧٨٣.

(٣) صلاح الدين المنجد: المستشرقون الألمان ، ص٧، ميشيل جحا: الاستشراق الألماني في القرن العشرين، بحث منشور بمجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد بيروت، ٢٠٠١م، العدد٥٠؛٥١، ص٢٥٩.

تُعنَى بالدراسات العربية والإسلامية، وصل عددها إلى خمس وعشرين(٢٥)جامعة في مختلف المدن الألمانية[١].

٢ـ خصائص الاستشراق الألماني:

لم تكن ألمانيا هي الدولة الأوربية الأولى في الدخول إلى ميدان الدراسات الاستشراقية، فقد سبقتها فرنسا وإنجلترا وهولندا، وعلى الرغم من أن دوافع الاستشراق الألماني لا تختلف كثيرا عن الدوافع وراء ظاهرة الاستشراق بصفة عامة، إلا أن المدرسة الاستشراقية في ألمانيا تميزت عن غيرها في أوروبا، بعدد من الخصائص منها:

١ــ أن الاستشراق الألماني لم يخضع منذ بدايته لغايات استعمارية أو سياسية كالاستشراق في بلدان أوروبية أخرى، فألمانيا لم يتح لها أن تستعمر البلاد العربية أو الإسلامية، ولم تهتم بنشر الدين المسيحي في الشرق[٢]، ولم تغلب الأهداف الاستعمارية على المستشرقين الألمان، بل ظلوا محافظين على التجرد والروح العلمية على الأغلب[٣].

٢ـ لم تكن دراسات المستشرقين الألمان عن العرب والمسلمين متصفة – نوعا ما – بروح عدائية، ما عدا بعض الذين جاءوا بآراء خاطئة عن الإسلام مثل

---

(١) ميشيل جحا: الاستشراق الألماني في القرن العشرين، ص٢٥٩.

(٢) يرى بعض الباحثين أن الاستشراق الألماني لم يكن الهدف منه نشر الدين المسيحي في الشرق ليس أمرًا صحيحا ومنهم ساسي سالم الحاج الذي ذكر أن: هذه الخصية ليست صحيحه في إطارها العام لأن الاستشراق الألماني كان مبعثه تحقيق الأهداف الدينية، وأنه قد نشأ في بدايته لتحقيق هذا الغرض خاصة عندما وقف جهده على دراسة التوراة واللغة العبرية باعتبارهما مدخلا لفهم الإسلام واللغة العربية، بالإضافة إلى إسهامات ألمانيا في الحروب الصليبية، وخاصة الحملة الصليبية الثانية. نقد الخطاب الاستشراقي، ج١، ص١٣٤ .

(٣) صلاح الدين المنجد: المستشرقون الألمان، ص٧، أمجد الجنابي: الاستشراق الألماني، ص ٥١.

«نولدكة» Noldeke (المتوفى ١٩٣١م) عن القرآن الكريم[١]، وكذلك المستشرق «يوهان أوجست فولرز»Johann August Vullers(المتوفى ١٨٨٠م) عن القرآن الكريم وأحكامه، وغيرهما[٢].

وعلى النقيض كان يوجد الكثير من المستشرقين الذين رافقت دراستهم روح إعجاب وتقدير وإنصاف مثل «رايسكة»Reiske (المتوفى ١٧٧٤م) الذي أطلق على نفسه شهيد الأدب العربي[٣]، و«آوغست مُولّر» August Müller(المتوفى١٨٩٢م) الذي أطلق على نفسه (أمرؤ القيس بن الطحان)[٤]، و«آدم متز»(المتوفى عام ١٩١٧م) –موضوع الدراسة– و«زيغريد هونكه» Sigrid Hunke(توفيت ١٩٩٩م) في كتابها« شمس العرب تسطع على الغرب– أثر الحضارة العربية في أوروبا»[٥].

٣. الجدية العالية لأعمالهم، فقد غلب على المستشرقين الألمان الدقة والملاحظة، والصبر الكبير في أثناء قيامهم بمشروعاتهم الكبرى، وعلى سبيل المثال: «وفستنفلد» Wüstenfeld (المتوفى ١٨٩٩م) الذي كُف بصره من كثرة البحث والعمل على نشر النصوص العربية طوال ستين سنة[٦]، ونولدكة Noldeke (المتوفى ١٩٣١م) الذي ظل يعمل في كتابه عن القرآن الكريم

(١) ألف نولدكة كتابا عن القرآن الكريم معتبرًا أن آيات القرآن ليست وحيا إلهيا، بل هي مجرد آيات نقلها النبيﷺ عن أشعار وأقوال العرب في الجاهلية. وقد تم ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية على يد جورج تامر، ونشر في بيروت في طبعته الأولى عام ٢٠٠٤م .

(٢) صلاح الدين المنجد: المستشرقون الألمان، ص٧.

(٣) ساسي سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي، ج١، ص ١٣٠.

(٤) صلاح الدين المنجد: المستشرقون الألمان، ص٨.

(٥) تم ترجمته عن الألمانية بواسطة فاروق بيضون وكمال دسوقي، نشر دار الجيل، بيروت، ط٨، عام ١٩٩٣م.

(٦) صلاح الدين المنجد: المستشرقون الألمان، ص٨.

مـــدة نصـــف قـــرن حتـــى أخـــرج الجـــزء الأول منـــه[١]، وورنر كاسك Werner Caskel(المتوفى١٩٧٠م) والذي وضع معجمه عن اللغات السامية في مدة تتجاوز ثمانية عشر عامًا[٢].

ومن الملاحظ أن المدرسة الاستشراقية في ألمانيا قد حازت على إعجاب الكثير من الباحثين في مجال الدراسات الاستشراقية بل إن بعضهم قد بالغ في الحديث عن مميزاتهم وفضائلهم؛ مثل صلاح الدين المنجد الذي وضع عنوان لبحثه عن المستشرقين الألمان وما أسهموا به « لمحات من عظمة الاستشراق الألماني»[٣]. ولكن- ومع الاعتراف بجهود المستشرقين الألمان- فإن كلا منهم له وعليه، ففي حين كان فريق منهم يتميز بعدم الإنصاف، والعداء للدين الإسلامي والحضارة العربية والطعن فيهما، كان هناك فريق آخر يتميز بالموضوعية والحياد والمنهج العملي في كتابته عن الحضارة العربية والإسلامية.

ثالثا: آدم متز وكتابه « الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري»:

١ـ التعريف بالمؤلف:

ولد آدم متز (Adam Metz) بمدينة فرايبورغ – إحدى المدن الألمانية-[٤]، وذلك عام ١٨٦٩م[٥]. نال تعليمه الأول بمدينته، ثم انتقل للدراسة للدراسة بالجامعة الألمانية[٦].

(١) ميشيل جحا: الاستشراق الألماني في القرن العشرين، ص٢٥٨.

(٢) سحر جاسم الطريحي: الدراسات القرآنية في الاستشراق الألماني، رسالة دكتوراه، جامعة الكوفة، العراق، عام ٢٠١٢م، ص٢٦.

(٣) صلاح الدين المنجد: المستشرقون الألمان ، ص٨.

(٤) نجيب العقيقي: المستشرقون، ص٧٢٤.

(٥) عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص ٥٤٤.

(٦) نجيب العقيقي: المستشرقون، ص٧٢٤.

وبعد تخرجه منها انتقل للتدريس بجامعة بازل[١] بسويسرا حتى أصبح أستاذ كرسي للغات الشرقية [٢]، وظل يُدَرِّس بها حتى وفاته عام ١٩١٧م[٣] وهو في الثامنة والأربعين من عمره[٤].

وقد اهتم متز بدراسة تاريخ الأدب العربي، خاصة في العصر العباسي[٥]، العباسي[٥]، فقد نشر في عام ١٩٠٢م دراسة موسعة لكتاب حكاية أبي القاسم البغدادي(Abulkasim ein bagdader Sittenbild) لمؤلفه أبو المطهر الأزدي[٦] عن مخطوط عثر عليه في أحد المكتبات الأوربية[٧].

---

(١) مدينة سويسرية تقع على الحدود بين فرنسا وألمانيا، ويتحدث سكانها اللغة الألمانية. وتعد من المدن الصناعية والمالية الكبرى؛ حيث يوجد بها مقر بنك التسويات الدولي. الموسوعة العربية الميسرة، ج٢، ص٦٠٣.

(٢) نجيب العقيقي: المستشرقون، ص٧٢٤.

(٣)عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص ٥٤٤، نجيب العقيقي: المستشرقون، ص٧٢٤.

(٤)عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص ٥٤٤.

(٥) نجيب العقيقي: المستشرقون، ص٧٢٤.

(٦)عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص ٥٤٤.

(٧) نشر هذا الكتاب لأول مرة عام ١٩٠٢م بتحقيق آدم متز، وقد طبعته ونشرته مكتبة المثني المثني ببغداد. وهو عبارة عن قصة أدبية يذكر فيها المؤلف بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في بغداد خلال القرن الرابع الهجري، حكاية عن "أبي القاسم البغدادي" أحد الأشخاص الذين كانوا يعيشون في بغداد. قد وقع خلاف بين المتخصصين في نسبة الكتاب، فقد نسبه آدم متز إلى أحمد بن محمد، المعروف بأبي المطهر الأزدي– وهو من أدباء القرن الخامس الهجري–، في حين نسبه أخرون إلى أبي حيان التوحيدي(٣١٠– ٤١٤ هـ/ ٩٢٢– ١٠٢٣م) الذي ألفه تحت عنوان الرسالة البغدادية، وقد حققه عبود الشالجي، وذكر أن آدم متز قد أخطأ حينما نسبه إلى أبو المطهر الأزدي مدللا على ذلك بالعديد من الأدلة على نسبته للتوحيدي. للمزيد، عبود الشالجي: مقدمة تحقيق، كتاب الرسالة البغدادية لأبي حيان التوحيدي، منشورات الجمل، بيروت، ط١، د.ت، ص٩، =

ومن دراساته أيضا: قواعد اللغة العربية، ونشر بمعهد الدراسات الشرقية عام ١٩٠٦م، و «من التاريخ العباسي» ونشره بالمجلة الأشورية عام ١٩١٢م(١).

٢ـ كتابه « الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري»:

يعد هذا الكتاب من أهم مؤلفات آدم متز (Adam Metz)، ولكن القدر لم يمهله حتى يتم الكتاب ويراجعه بصورته النهائية، فقد توفي قبل إتمامه وتركه مكتوبًا على الآلة الكاتبة من غير تهيئة للطباعة أو وضع مقدمة له(٢).

ولكن بعد وفاته قام أستاذه ريكيندورف (H.Reckendorf) (٣) بنشر الكتاب باللغة الألمانية تحت عنوان «نهضة الإسلام»(Die Renaissance Des Islam) عام ١٩٢٢م (٤).

ونتيجة لأهمية الكتاب؛ فقد بدأ صلاح الدين خدابخش الهندي (المتوفى عام ٢٠٠٢م) بترجمة أجزاء منه إلى اللغة الإنجليزية، ونشرها بمجلة الثقافة الإسلامية (Islamic Culture)، لكنه توفي قبل إتمامها، فأتم الترجمة

=

كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ترجمة، عبد الحليم النجار، ورمضان عبد التواب، دار المعارف، مصر، ط٥، عام ١٩٧٧م، ج٣، ص١٤٧، علي مبارك: النثر الفني في القرن الرابع الهجري، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ط١، عام ٢٠١٣م، ص٣٤٣، شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، مصر، ط٧، د. ت، ج٥، ص٣٩٦.

(١) نجيب العقيقي: المستشرقون، ص٧٢٤.

(٢) محمد عبد الهادي أبو ريدة: مقدمة ترجمته لكتاب الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، عام ٢٠١٣م. ص (ز).

(٣) ولد في هايدلبرج عام ١٩٦٣م. وتعلم في دار المعلمين بها، ثم قصد برلين لدراسة اللاهوت (١٨٨٢م) وسرعان ما انصرف عنه إلى دراسة اللغات الشرقية. ثم عين أستاذاً للعربية في جامعة ليبزيج حتى أحيل إلى التقاعد سنة ١٩٢٣م، ثم توفي بعدها بعام واحد عام ١٩٢٤م. نجيب العقيقي: المستشرقون، ص٧٣١.

(٤) عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص ٥٤٤.

ديفيد صموئيل مرجوليوث (David Samuel Margoliouth)[١] ونشرها بجامعة أكسفورد البريطانية عام ١٩٣٦م[٢]. ثم قام سلفادور فيلا (Salvador Vila) بترجمته للغة الإسبانية عام ١٩٣٦م[٣].

أما الترجمة العربية فقام بها محمد عبد الهادي أبو ريدة بناءً على طلب من أحمد أمين[٤]، والذي يقول عن سبب اختيار الكتاب للترجمة والمترجم له: « رأيت الكتاب قد ترجم من الألمانية إلى الإنجليزية ثم إلى الإسبانية، فقلت: إن الأَوْلى أن يترجم إلى العربية، فأهلها هم وارثو الحضارة الإسلامية، وهم أولى أن يطلعوا على كل ما كتب عنها... وانتدبت له الأستاذ محمد عبد الهادي أبا ريدة، كما انتدبته من قبل لترجمة كتاب الفلسفة الإسلامية للأستاذ بوور فأبلى بلاء حسن»[٥].

(١) كان أستاذًا بجامعة أكسفورد، نشر العديد من المؤلفات العربية بعد ترجمتها للغة الإنجليزية . توفي عام ١٩٤٠م. عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص٥٤٦.

(٢) مقدمة الترجمة لكتاب الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ص (ز).

(٣) نجيب العقيقي: المستشرقون، ص٧٣١.

(٤) أحمد أمين الطباخ، ولد بمدينة القاهرة عام ١٨٧٨م، درس في الأزهر الشريف. ثم عين مدرسا بكلية الآداب جامعة القاهرة بتوصية من صديقه طه حسين، ثم أصبح عميدًا لها عام ١٩٣٦م. كان له العديد من المؤلفات مثل ظهر الإسلام، وضحى الإسلام، كما كتب عددا كبيرا من المقالات في الصحف الأدبية والعلمية مثل الرسالة والثقافة وغيرها. توفي عام ١٩٥٤م. فهيم حافظ الديناصوري: أحمد أمين وأثره في اللغة والنقد الأدبي، نشر مكتبة فيصل الإسلامية، ط١، عام ١٩٨٦م، ص ٢٠ وما بعدها. محمد رجب البيومي: أحمد أمين مؤرخ الفكر الإسلامي، دار القلم، دمشق، ط١، عام ٢٠٠١م، ص٨ وما بعدها.

(٥) كلمة أحمد أمين لمقدمة: كتاب الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ص (د) بتصرف.

وعلى الفور قام محمد أبو ريدة بترجمة الكتاب، وعندما ترجم الجزء الأول منه عرضه على أحمد أمين لمراجعته وإبداء ملاحظته عليه، ثم بدأ في ترجمة الجزء الثاني حتى أتمه وأخرجه كاملا تحت عنوان «الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري».

ويرجع سبب اختيار العنوان الذي وضعه أبو ريدة للكتاب –إلى أن القرن الرابع الهجري هو الذي وصلت فيه الحضارة الإسلامية إلى أوج فترات ازدهارها من الناحية الحضارية، كما أنه القرن الذي ركز عليه المؤلف في حديثه عن أهم ملامح الحضارة الإسلامية.

وقد أثنى أحمد أمين على الترجمة التي قام بها أبو ريدة للكتاب، وقال عنه:« فتقبل الأستاذ أبو ريدة القيام بهذا الجهد كله بنفس طيبة تحب العلم، وتصبر على الجهد، وتستلذ العناء في سبيل علم تنشره أو خير تقدمه، وليس يعلم مقدار ما عانى في ذلك إلا الله... وكان من حسن حظه وحظ الكتاب وحظ القراء أن أُرسل في بعثة إلى فرنسا، فأتاحت له هذه البعثة فرصة طيبة للاطلاع على المصادر في المكاتب الفرنسية، ومكنت له من أن يسافر إلى برلين، ويتصل بهولندا ليقوم بترجمة هذه المصادر كلها، فله الشكر الجزيل على ما عاني، وما قدم لقراء العربية من خير»[1].

وقد صدر من كتاب آدم متز بترجمة محمد أبو ريدة عدد من الطبعات، منها الطبعة التي أصدرتها مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة عام ١٩٥٧م، والطبعة التي أصدرتها دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ طبع، وكذلك الطبعة التي أصدرتها الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة عام

(١) كلمة أحمد أمين لمقدمة: كتاب الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ص (د، هـ).

٢٠١٣م، –وهي الطبعة التي سوف يتم الاعتماد عليها خلال الدراسة–، ولذلك سوف يقوم الباحث بتقديم وصف تفصيلي لها.

وصف الطبعة المعتمد عليها:

تتكون طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب من تسع وعشرين فصلا، في جزئين هما:

الجزء الأول: ويقع في خمسمائة وأربع وخمسين صفحة(٥٥٤) مسبوقة بتقديم للدكتور مصطفي لبيب عبد الغني(المتوفى عام ٢٠١٦م)، ثم كلمة للأستاذ أحمد أمين، ثم كلمة للمترجم.

ويتكون هذا الجزء من سبعة عشر فصلا، هي على الترتيب الآتي: المملكة الإسلامية– الخلفاء– الأمراء– اليهود والنصارى– الشيعة– الإدارة– الوزارة والوزراء– المسائل المالية– رسوم دار الخلافة– الأشراف– الرقيق– علوم الدين– المذاهب الفقهية– القضاة– علم اللغة– الأدب.

الجزء الثاني: ويقع في ثلاثمائة وتسع وسبعين صفحة(٣٧٩)، ويشتمل على اثنى عشر فصلا: من الثامن عشر حتى التاسع والعشرين، وهي على الترتيب الآتي: الجغرافيا– الدين– الأخلاق والعادات– مستوى المعيشة– أحوال المدن– الأعياد– الحاصلات – الصناعات– التجارة– الملاحة النهرية– المواصلات البرية– الملاحة البحرية.

وقد تحدث آدم متز عن المرأة ودورها في الحضارة الإسلامية في صفحات متفرقة موزعة على فصول الكتاب المختلفة، وهو ما سوف تتناوله الدراسة.

المبحث الأول: دور سيدات دار الخلافة وجواريها.

لعبت المرأة دورًا مهمًا في حياة الخلفاء بكونها أمًّا للخليفة أو زوجة له، كما لعب الجواري(١) في دار الخلافة(٢) دورا أكثر أهمية، وقد تحدث آدم متز عن الدور الذي لعبته المرأة في حياة الخلفاء، خاصة في القرن الرابع الهجري – موضوع الدراسة–(٣)، فتحدث عن عدد من النساء اللائي لعبن دورا في حياة

(١) تحدث آدم متز بصورة موسعة عن مصدر الحصول على الجواري، وأشهر الأماكن التي كان يتم جلبهن منها، كما تحدث عن أسعارهن وسبب ارتفاع الأسعار وانخفاضها. للمزيد: ينظر الفصل الخاص بالرقيق من كتابه الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص ٢٦٤– ٢٨٣.

(٢) اسم أُطلق على المنطقة الواقعة على الضفة الغربية لنهر دجلة، فقد كانت محاطة بسور ضخم على شكل نصف دائرة به عدد من الأبواب. وكانت منطقة دار الخلافة تضم عددا من القصور وملحقاتها من أبنية وبساتين للخلفاء العباسيين ونسائهم، وكبار رجال الدولة المقربين من الخليفة، ومحلات لأرباب الجاه والثراء وكبار التجار، وأصحاب الأملاك. ومن أشهر المنشآت التي كانت توجد بها: قصر الحسني، وقصر الفردوس، والتاج، وغيرها من القصور الفخمة. ابن الجوزي" جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ت: ٥٩٧هـ/١٢٠٠م" المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج٥، ص١٤٣، ياقوت الحموي " شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م" معجم البلدان، دار صادر، بيروت ط٢، عام ١٩٩٥م ، ج٢، ص٤، مصطفي جواد: دليل خارطة بغداد المفصل قديمًا وحديثًا، مطبعة المجمع العلمي العراقي، د. ط، عام ١٩٥٨م، ص١٥٧–١٥٩.

(٣) من الواضح كما سيظهر من الدراسة أن متز تحدث عن دور نساء الخلفاء قبل القرن الرابع الهجري، فتحدث عن دور بعض النساء في قصور الخلفاء؛ مثل الخيزران زوجة الخليفة المهدي التي توفيت عام ١٧٣هـ/٧٨٩م، والسيدة زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد والدة الخليفة الأمين التي توفيت عام ٢١٦هـ/٨٣١م، وقد توفيتا قبل القرن الرابع الهجري.

الخلفاء، سواء بتغيير أوامر تصدر منهم، أو العمل على رفع مكانة أقاربهن وجعلهن قريبين من الخليفة أو توليهم مناصب داخل الدولة. وقد ذكر آدم متز عددا من الأمثلة للدلالة على ذلك وهي:

الدور الكبير والمؤثر الذي لعبته الخيزران بنت عطاء[١] في خلافة زوجها الخليفة أبو عبد الله المهدي[٢] (١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٤-٧٨٥م)، فقد استطاعت بحكم سيطرتها على الخليفة من تقريب عدد من أقاربها، ورفعتهم بقدر استطاعتها

(١) هي الخيزران بنت عطاء، وقع اختلاف في أصلها والمكان الذي ولدت فيه، فذكر بعض المؤرخين أنها يمنية؛ حيث ولدت في مدينة جرش اليمنية، في حين يرى آخرون أنها ولدت بمدينة مكة، وذكر فريق ثالث أنها ولدت بالمدينة المنورة. وهي الخيزران بنت عطاء بنت عبد العزيز بن طارقة الحرشي. وقعت في صغرها في الأسر واشتراها رجل من ثقيف، ثم حملها إلى مكة فباعها في سوق العبيد فاشتراها أحد التجار ثم عرضها على الخليفة أبو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ /٧٥٣-٧٧٤م) الذي أعجب بها، فوهبها لابنه المهدي الذي قربها منه وجعلها من جواريه، وبعد أن أنجبت له ابنيه موسي الهادي(ت:١٧٠هـ/٧٨٦م)، وهارون الرشيد(ت:١٩٦هـ/٨٠٨م) أعتقها وتزوجها عام ١٥٩هـ/ ٧٧٥م. توفيت عام ١٧٣هـ/٧٨٩م. الطبري" محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر، ت: ٣١٠هـ/٩٢٢م" تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، بيروت، ط٢، عام١٣٨٧هـ، ج٨، ص١٢١، وص٢٣٨، الخطيب البغدادي "أبو بكر أحمد بن على بن ثابت، ت:٤٦٣هـ/١٠٧٠م" تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، عام ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ج١٦، ص٦١٦.

(٢) محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم(أبو عبد الله المهدي بن المنصور)، ولد سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م، وبويع له بالخلافة عند موت أبيه بالحجاز عام ١٥٨هـ/٧٧٤م. توفي عام ١٦٩هـ/٧٨٥م. ابن عساكر "أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، ت: ٥٧١هـ/١١٧٦م" تاريخ دمشق، تحقيق، عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ط١، عام ١٤١٥هـ /١٩٩٥ م، ج٥٣، ص٤١١، السيوطي "عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م" تاريخ الخلفاء، تحقيق، حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفي الباز، القاهرة، ط١، عام ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٢٠١.

إلى تولي العديد من المناصب[١]، فقد رفعت من شأن أخيها الغطريف بن عطاء[٢]، فطلبت من زوجها أن يأتي به من اليمن ويقربه منه، فكتب المهدي إلى علي بن سليمان[٣] عامله على جرش[٤]، أن يرسل إليه الغطريف، فجاءه وقربه منه وولاه اليمن ثم عزله[٥].

وأيضا فقد لعبت السيدة زبيدة بنت جعفر [٦] دورًا مهمًا ومؤثرًا في حياة ابنها الخليفة محمد الأمين[٧] بعد توليه الخلافة (١٩٣-١٩٨هـ/٨٠٨-٨١٣م)، فعندما وجدت السيدة زبيدة مدى شغف ابنها الأمين بالخدم من الرجال والخصيان وتقريبه لهم وعلاقته السيئة بهم، فعمدت إلى ظاهرة استحدثتها وهي الغلاميات،

(١) آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص٢٤٣.

(٢) الغطريف بن عطاء الجرشي. قيل: إنه من بني الحارث بن كعب الكندي. كان غلاماً لرجل من أهل جرش فأعتقه. تولى اليمن في خلافة المهدي، وخراسان في خلافة هارون الرشيد. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٣٩٥، ابن الجوزي: المنتظم، ج٩، ص١٩.

(٣) علي بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، من وجوه بني العباس قدم مع المهدي دمشق وولاه الجزيرة، كما ولاه اليمن. توفي عام ١٧٢هـ/٧٨٨م. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٤١، ص٥١٧، الذهبي "شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م" تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تحقيق، بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، عام٢٠٠٣م، ج٤، ص٦٩٣.

(٤) مدينة عظيمة باليمن وولاية واسعة، تقع على حدوده مع الحجاز. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص١٢٦.

(٥)اليعقوبي" أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، ت: بعد ٢٨٤هـ/٨٩٧م" تاريخ اليعقوبي، تحقيق، عبد الأمير مهنا، دار الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، عام ٢٠١٠م، ج٢، ص٣٤٢، آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص٢٤٣.

(٦) زبيدة بنت جعفر بن المنصور -أبي جعفر- عبد الله بن محمد بن علي، وكنيتها أم جعفر الهاشمية العباسية، زوجة هارون الرشيد ولدت له ابنه الأمين. توفيت عام ٢١٦هـ/٨٣١م. ابن الجوزي: المنتظم،ج١٠، ص٢٧٦، الذهبي: تاريخ الإسلام ،ج٥ ، ص٣١٤.

(٧) محمد بن هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، أبو عبد الله ، ويقال: أبو موسى الأمين بن الرشيد بن المهدي بن المنصور. بويع له بالخلافة بعد أبيه الرشيد عام ١٩٣ هـ /٨٠٨م، قتل عام ١٩٨هـ/٨١٣م بعد صراع مع أخيه المأمون. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٥٦، ص ٢١٣، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢١٦.

فقد اتخذت مجموعة من الجواري الحسان الوجوه وعممت رؤوسهن وألبستهن ملابس الرجال؛ حتى تشغله بهم بدلا من انشغاله بالخدم والخصيان داخل القصر(١).

وبالرجوع إلى مصدر هذه الرواية التي ذكرها آدم متز عن الأمين وشغفه بحب الخدم من الرجال والخصيان، فقد وردت عند الطبري(المتوفى ٣١٠هـ/٩٢٢م) الذي نقل عن حميد بن سعيد، قال: لما ملك محمد –يقصد الأمين–، وكاتبه المأمون، وأعطاه بيعته، طلب الخصيان وابتاعهم، وغالى بهم، وصيرهم لخلوته في ليله ونهاره، وقوام طعامه وشرابه، وأمره ونهيه، وفرض لهم فرضا سماه الجرادية– الرجال البيض–، وفرضا آخر من الأحباش السود سماه الغُرابية، ورفض النساء، سواء كانوا من الحرائر أو الإماء حتى رُميّ بهن(٢). ونقل هذه الرواية ابن الأثير عن الطبري(٣).

أما دور السيدة زبيدة في محاولة السيطرة على ميله للرجال واتخاذها ظاهرة الغلاميات، فقد نقلها آدم متز عن المسعودي(المتوفى ٣٤٦هـ/٩٥٧م) الذي ذكر في مروج الذهب ومعادن الجوهر أنه لما أفضى الأمر إلى ولدها أمير المؤمنين قدم الخدم، وآثرهم، ورفع منازلهم، فلما رأت أم جعفر شدة شغفه بالخدم واشتغاله بهم اتخذت الجواري المقدودات الحسان الوجوه، وعممت رؤوسهن، وجعلت لهن الأصداغ والأقفية، فظهرت قدودهن، وبرزت أردافهن، وبعثت بهن

(١) آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ص١٣٣؛١٣٤.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٠٨.

(٣)" أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد، ت، ٦٣٠هـ/١٢٣٢م" الكامل في التاريخ، التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ج٥، ص٤٥٦.

إليه، فاختلفن في يديه، فاستحسنهن واجتذبن قلبه إليهن، وأبرزهن للناس من الخاصة والعامة، وسموا بالغلاميات(١).

وهذه الروايات التي ذكرها بعض المستشرقين –ومنهم آدم متز–، فقد نقلوها جميعًا عن كلٍّ من الطبري والمسعودي، وهذه الروايات تحتاج إلى كثير من الدراسة والنقد؛ لبيان مدى صحتها من ضعفها.

فبالنسبة لرواية الطبري فيمكن نقدها من وجوه:

أولها: أن جميع الروايات التي ذكرها الطبري عن الأمين نقلها عن حميد بن سعيد، وقد وقع شبه إجماع بين المؤرخين أنه كان من المجهولين(٢).

ثانيها: أن الطبري عند نقلها عن حميد بن سعيد لم يذكر الواسطة بينهما في الرواية، فقد قال الطبري: وذُكر عن حميد بن سعيد بالمبني للمجهول(٣).

(١) تحقيق، أسعد داغر، دار الهجرة، العراق، ط١، عام١٤٠٩هـ، ج٤، ص٢٢٦. وللمزيد أيضا، شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، ج٤، ٨٥–٨٨.

(٢) ابن الجوزي" جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ت: ٥٩٧هـ/١٢٠٠م" الضعفاء والمتروكون، تحقيق، عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام ١٤٠٤هـ، ج١، ص٢٣٨، ابن حجر" أحمد بن علي بن محمد، ابن حجر العسقلاني، ت: ٨٥٢هـ /١٤٤٨م" لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٢،عام١٣٩٠هـ/١٩٧١م، ج٢، ص٣٦٤.

(٣) محمد بن طاهر البرزنجي: صحيح وضعيف تاريخ الطبري، دار ابن كثير، بيروت، ط١، عام ٢٠٠٧م، ج١٢، ص١٥٠.

ثالثها: أن الرواية التي ذكرها الطبري عن حميد ورد فيها لفظ لا يتفق مع مضمونها، فالغرابية[١] فرقه من فرق الشيعة، ليس لها علاقة بظاهرة الغلاميات أو الأمين [٢].

رابعها: أن ذكر الطبري للرواية لا يعني كونها صحيحه حتى يذكرها الباحثون المهتمون بعلم التاريخ – ومنهم آدم متز– كونها حقيقة مسلمة، فذكر الطبري للروايات التي تقدح في شخصية الخليفة الأمين كان جريا على عادته في ذكر كل ما وصل إليه من معلومات من باب الأمانة العلمية في النقل، دون التمييز بين غثها وسمينها، تاركًا للقارئ التمييز بينها، ولتأكيد ذلك ذكر في مقدمة كتابه (تاريخ الرسل والملوك) منهجه فقال:« فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه، أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يَعْرف له وجها في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا، وإنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا»[٣].

أما رواية المسعودي، فبالرجوع إلى المصادر التي عاصرت هذه الفترة أو حتى القريبة منها، وجد الباحث – في حد علمه– أن ظاهرة الغلاميات في عهد الأمين كانت مما تفرد به المسعودي فقط– وبغير الدخول في تشيع

(١) فرقة من غلاة الشيعة زعموا ان الله عز وجل أرسل جبريل –عليه السلام– إلى علي ﷺ فغلط في طريقه فذهب إلى محمد ﷺ لأنه كان يشبهه، وقالوا: كان أشبه به من الغراب بالغراب؛ لذلك سموا بالغُرابية. كما زعموا أن عليا ﷺ كان الرسول وأولاده بعده هم الرسل. البغدادي" أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد، ت: ٤٢٩هـ/١٠٣٧م، الفرق بين الفرق، تحقيق، محمد عثمان الخشت، دار ابن سينا، القاهرة، ط١، د.ت، ص٢٣٧.

(٢) إبراهيم محمود فرج: الخليفة العباسي الأمين محمد بن هارون الرشيد، رسالة ماجستير، بكلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، عام٢٠١٣م، ص٢٣.

(٣) ج١، ص٨.

المسعودي من عدمه- فإن التفرد بالرواية التاريخية دون ذكر مصدرها لا يعد كلاما موثقًا يمكن البناء عليه، كما أن المسعودي كان دومًا مراقبًا للقصص المثيرة للدهشة، مما يجعلنا نتعامل معها بحذر على حد وصف أحد الباحثين البريطانيين(١).

ومما يجذب الانتباه أن الخليفة العباسي محمد الأمين قد نُسجت حوله كثير من المعلومات التي نالت منه ومن أخلاقه، فاتهمته بالشذوذ وغيرها من الأباطيل التي ورد معظمها في كتب الشيعة أو كتب الأدب والشعر- مثل كتاب الأغاني للأصفهاني(المتوفى٣٥٦هـ/٩٦٦م)- التي كانت تهتم بإبراز الجانب الأدبي دون التأكد والتحقق من المعلومات التاريخية التي ترد بها. الأمر الذي جعل كثيرا من المستشرقين يتناقلون مثل هذه الروايات بهدف التشنيع والطعن في المسلمين وتاريخهم وحضارتهم.

كما أن هذه الفترة قد شهدت صراعا داميا بين محمد الأمين وأخيه المأمون(٢) الذي انتهى بهزيمة الأمين ومقتله عام ١٩٨هـ/ ٨٠٨م(٣)، ومن

(١) هيو كينيدي: بلاط الخلفاء قيام وسقوط أعظم أسرة حاكمة في الإسلام، ترجمة وتقديم: فائزة إسماعيل أكبر، المركز القومي للترجمة، ط١، عام ٢٠٠٩م، ص٢٢٧.

(٢) عبد الله بن هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، كان يكنى بأبي العباس، وقيل: أبو جعفر المأمون بن الرشيد، ولد سنة ١٧٠ هـ /٧٨٦م، وأمه أم ولد اسمها مراجل، عُرف بحبه للعلم منذ صغره. تولى الخلافة عام ١٩٨هـ/٨٠٨م، وتوفي عام ٢١٨هـ /٨٣٣. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٣٣، ص٢٧٥، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢٢٥.

(٣) للمزيد عن الصراع بين الأمين والمأمون راجع، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص ٢٦٩، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٥٦، ص ٢٢٨، محمد سهيل طقوش: الدولة العباسية، دار النفائس، بيروت، ط٧، عام ٢٠٠٩م، ص ١١١.

الطبيعي أن تجد الطرف المهزوم تنسج حوله الأباطيل والروايات التي تحتوي على كثير من المغالطات(١).

ومن السيدات اللائي حُزنا على اهتمام كبير من جانب آدم متز، السيدة شغب(٢) والدة الخليفة المقتدر(٣)(٢٩٥-٣٢٠ هـ /٩٠٧-٩٣٢م)، فتحدث عن الدور الذي لعبته في تولية ابنها الخلافة أو الدور الأكبر في السيطرة على الخليفة والتحكم في كثير من قرارته.

(١) للمزيد عن الروايات التي تطعن في الأمين والرد عليها، راجع: إبراهيم محمود فرج: الخليفة العباسي الأمين محمد بن هارون الرشيد، ص٢٠-٣٤، محمد عبد الله المعموري: الخصيان والمترجمة في الدولة العربية الاسلامية حتى عام ٦٥٦ هـ /١٢٥٨م "دراسة في أوضاعهم السياسية والاجتماعية والفكرية"، بحث منشور بمجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العدد١٥، عام ٢٠١٤م، ص١٧٣-١٧٥.

(٢) كانت شغب في البداية جارية رومية وكانت تسمى ناعم، اشترتها سيدة بغدادية تدعي أم القاسم بنت محمد بن عبد الله، ثم اشتراها الخليفة العباسي المعتضد بالله(٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠٢م)، الذي أعجب بها لجمالها الفائق، فأصبحت من أقرب جواريه إليه. وفي عام ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م أنجبت له ابنا أطلق عليه اسم جعفر؛ فحملت لقب أم ولد، وبعد تولى ابنها المقتدر الخلافة أطلقت على نفسها لقب السيدة. ظلت شغب تلعب دورا مهما في حياه الخلفاء الذين عاصرتهم حتى توفيت عام ٣٢١هـ/٩٣٣م. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٤٢، ج١١، ص٢٨، المسعودي" أبو الحسن علي بن الحسين بن على، ت: ٣٤٦هـ/٩٥٧م" التنبيه والأشراف، دار الصاوي، القاهرة، ط١، د.ت، ص٣٢٦.

(٣) أبو الفضل جعفر بن المعتضد، وقيل: إن اسمه إسحاق، إنما اشتهر بجعفر لشبهة بالخليفة المتوكل، بويع بالخلافة سنة ٢٩٥هـ/٩٠٧م وعمره ثلاث عشرة سنة، ثم خلعه بعض كبار رجال الدولة وجعلوا مكانه عبد الله بن المعتز، فمكث في الخلافة يوما واحدا، ثم عاد المقتدر للخلافة فقبض عليه وقتله. بقى المقتدر في الخلافة حتى توفي سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م. الذهبي "شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م" سير أعلام النبلاء، تحقيق، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج١٥، ص٤٣، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢٧٤.

بدأت شغب(ناعم) التدخل في شئون الحكم في عهد ابنها المقتدر منذ تدخلها في اختياره للخلافة والضغط بكل ما تملك من قوة في سبيل أن يصل إلى الحكم ، فعندما اشتد مرض الموت بالخليفة العباسي المكتفي[١] (٢٨٩-٢٩٥ هـ /٩٠٢-٩٠٨م) وأحس كبار رجال الدولة بدنو أجله بدأ الوزير العباس بن الحسين[٢] يشاور كبار رجال الدولة فيمن يخلف الخليفة المتوفى في الحكم، فرأى بعضهم أن الأَوْلَى أن يخلفه عبد الله بن المعتز[٣] حيث إنه صاحب رأي وعقل وعلم وأدب[٤]. في حين رأى فريق آخر من الطامعين في السلطة وعلى رأسهم أبو الحسن بن الفرات[٥]

(١) أبو محمد علي بن المعتضد، تولى الخلافة عام ٢٨٩هـ/٩٠٢م عقب وفاة أبيه، وعمره خمس وعشرون سنة. كان يعد آخر الخلفاء العباسيين العظماء. توفي عام ٢٩٥هـ/٩٠٨م. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٣، ص٢١٢، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢٧٣.

(٢) العباس بن الحسن بن أيوب، أبو أحمد الجرجرائي. كان وزيرًا للخليفة المكتفي ومن بعده للمقتدر. قُتل عام ٢٩٦هـ/٩٠٩م. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٥١، الصفدي" صلاح الدين خليل ابن أيبك بن عبد الله، ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م" الوافي بالوفيات، تحقيق، أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث، بيروت ط١، عام١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ج٧، ص٨.

(٣) محمد بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد، يكنى أبا العباس. كان متقدما في الأدب، غزير العلم، بارع الفضل، حسن الشعر. اختير للخلافة ولقب بالغالب بالله، لكنه لم يلبث بها سوى يوما واحدا وقتل في نهايته وعادت الخلافة للمقتدر مرة أخرى سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١١، ص٣٠٢، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٤٣.

(٤) ابن مسكويه "أبو على أحمد بن محمد بن يعقوب، ت: ٤٢١هـ/١٠٣٠م" تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق، أبو القاسم إمامي، طهران، ط٢، عام ٢٠٠٠م، ج٥، ص٥٢، آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص ١٥.

(٥) علي بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات، أبو الحسن الوزير. وزر للمقتدر بالله ثلاث مرات: الأولى سنة٢٩٦هـ/٩٠٩م، والثانية عام ٣٠٤ هـ /٩١٦م، والثالثة عام ٣٠٩هـ/٩٢١م. قُتل هو ابنه عام٣١٢هـ/٩٢٤م. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٧، ص٢٥٣، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢٢، ص٩١.

اختيار جعفر بن المعتضد(المقتدر) الذي لم يكن يتعدى سنة ثلاث عشرة سنة وأيامًا معدودة(١).

وقد وافق الرأي الثاني هوى الوزير العباس بن الحسين، خاصة بعد قول ابن الفرت له: تُقلد جعفر بن المعتضد، فإنه صبي لا يدري أين هو؟ وعامة سروره أن يصرف من المكتب، فكيف أن يجعل خليفة ويملك الأعمال والأموال وتدبير النواحي والرجال؟ ويكون الخليفة بالاسم وأنت هو على الحقيقة، وإلى أن يكبر قد انغرست محبتك في صدره (٢).

وقد بدأ دور السيدة شغب في السيطرة على الخلافة مبكرًا، فعندما علمت أنه قد يتم رفض تولية ابنها للخلافة؛ لأنه لم يكن قد بلغ الحُلم (سن التكليف)، أشاعت عن طريق جواريها وأتباعها أن ابنها قد بلغ الحلم، وأنه أصبح مؤهلا لتولي الخلافة(٣).

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص١٣٩، آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص ١٥.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص١٣٩، ابن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٥، ص٥٢، الصابي" هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال، ت:٤٤٨هـ/١٠٩٥م" تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق، خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام ١٤١٩هـ، ص٨٩، آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص ١٥.

(٣) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢٧٤، تيسير محمد شادي: النساء في عهد الخليفة المقتدر العباسي (شغب أنموذجا)بحث منشور بمجلة كلية الآداب، جامعة بنها، العدد٢٧، عام ٢٠١٧م، ص٢١٨.

ولم يقتصر نفوذها على الدور الذي لعبته في تولي المقتدر الخلافة، ولكنها استطاعت فرض سيطرتها الكاملة عليه طوال مدة خلافته، فأصبحت المتحكمة في جميع شئون الحكم، تولي من تريد وتعزل من تشاء[١].

ولم تقم السيدة شغب بالسيطرة فقط على الخليفة الشاب، بل فرضت سيطرتها على أحفادها ترقب كل ما يقومون به في سكنتهم وحركاتهم، وما كان يقرؤونه في دروسهم الخاصة، فكانت ترسل من يراقبهم في أثناء دروسهم، ويذكر الصولي (المتوفى ٣٢٥هـ/ ٩٣٦م) الذي كان يعمل مؤدبا خاصا لحفيدها محمد بن المقتدر[٢] أنه ذات يوما وهو يقرأ عليه شيئا من شعر بشار بن برد[٣] وبين يديه كتب لغة وكتب أخبار، إذ جاء خدم يعملون لجدته السيدة، فأخذوا جميع ما بين يديه من الكتب فجعلوه في منديل كان معهم، وما كلمونا بشيء ومضوا، فرأيته قد وجم لذلك واغتاظ؛ فقلت له: ليس ينبغي أن ينكر الأمير هذا، فإنه يقال لهم : إن الأمير ينظر في كثير من الكتب التي لا ينبغي أن ينظر في

(١) اليافعي" أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد، ت: ٧٦٨هـ/١٣٦٦م" مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام ١٩٩٧ م، ج٢، ص١٨٤، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١١، ص٧٤، آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص ١٥.

(٢) أبو العباس محمد بن المقتدر بن المعتضد بن طلحة بن المتوكل. ولد سنة ٢٩٧هـ/٩٠٩م، وأمه أم ولد رومية اسمه ظلوم، بويع له بالخلافة بعد خلع القاهر عام٣٢٢هـ/٩٣٣م، وظل بها حتى ٣٢٩هـ/٩٤٠م.الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص١٠٣،السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢٨٢.

(٣) بشار بن برد، أبو معاذ الشاعر مولى بني عقيل، ويقال: إن اسم جده يرجوخ، ولد أعمى. أكثر من الشعر وأجاد القول فيه. وكان الخليفة المهدي اتهمه بالزندقة فقتله عليها عام ١٨٦هـ/٧٨٤م. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٧، ص٦١٠، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤، ص٣١٤.

مثلها، فأحبوا أن يمتحنوا ذلك، وقد سرني هذا ليروا كل جميل حسن، ومضت ساعات أو نحو ذلك ثم ردوا الكتب بحالها. فقال لهم الراضي: قولوا لمن أمركم بهذا قد رأيتم هذه الكتب وإنما هي كتب حديث وفقه وشعر ولغة وأخبار، وليست من كتبكم التي تبالغون فيها مثل عجائب البحر، وحديث سندباد وغيرها، وخفت أن يؤدي الخادم قوله، فيقال: من كان عنده؟ فيذكرني؛ فيلحقني من ذلك ما أكره خوفا من السيدة(١).

ومع المحاولات التي كانت تقوم بها السيدة– شغب– في الحفاظ على عرش الخلافة لابنها فإن هذه المحاولات قد انتهت نهاية غير مرضيه لها، فقد قُتل الخليفة المقتدر في المعركة التي خرج فيها للدفاع عن حكمه أمام مؤنس الخادم(٢)، ففي عام ٣٢٠هـ/٩٣٢م خرج الجند على المقتدر مطالبين برواتبهم المتأخرة، وعندما عجز المقتدر عن دفع هذه الرواتب ذهب عدد منهم إلى قائد الجيش مؤنس الخادم، الذي كان بالموصل طالبين منه أن يذهب بهم إلى بغداد؛ للضغط على الخليفة لإعطائهم هذه الرواتب وإلا قاتلوه، فتحرك بهم مؤنس نحو بغداد، وعندما علم الخليفة بتحرك الجنود ناحية بغداد، تحير بين أمرين: إما الانتظار في قصر الخلافة والتفاوض مع الخارجين عليه أو الخروج إليهم

(١) "أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي، ت: ٣٢٥هـ/٩٣٦م" الأوراق، نشر شركة أمل، القاهرة، د.ط، عام ١٤٢٥هـ، ج٢، ص٥؛٦. وأيضا، آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص ١٦.

(٢) مؤنس الخادم الملقب بالمظفر المعتضدي. أحد الخدم الذين بلغوا رتبة الملوك. كان أبيض فارسا شجاعا سائسا داهية. وولي دمشق للمقتدر. قتل عام ٣٢١هـ/٩٣٣م بعد أن عاش تسعين سنة. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص٥٦؛٥٧، ابن العماد" عبد الحي بن أحمد بن محمد، ت: ١٠٨٩هـ /١٦٧٨م" شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق ، محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه، عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، ط١، عام ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ج٤، ص١١٠.

وقتالهم، ورغم أن المقتدر كان يرى الانتظار والتفاوض إلا أنه أمام ضغوط قواد جيشه اضطر للخروج للقتال مكرها [١].

وفي أثناء المعركة أحاط الجنود بالمقتدر وضربه رجل منهم من خلفه ضربة سقط منها إلى الأرض، فرفع المقتدر صوته قائلا: أنا الخليفة، إلا أن الجندي أضجعه وذبحه بالسيف ورفع رأس المقتدر على سيفه ثم على خشبة، وسلب ثيابه حتى سراويله وتركه مكشوف العورة، حتى مر به أحد الرجال وعندما وجده على هذا الحال ستر عورته حتى تم تجهيزه ودفنه عام ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م[٢].

وقد ذكر آدم متز أن والدة الخليفة قد جاهدت في سبيل عدم خروج ابنها للمعركة مع عدم استعداده الكامل لها، وألحت عليه في عدم الخروج، حتى إنها كشفت عن ثديها وبكت، إلا أنه لم يستمع إليها وقرر الخروج أمام إلحاح قواد جيشه عليه[٣].

ولكن بعد عودة الباحث إلى المصادر التاريخية لم يتم العثور على هذه الرواية – في حد علم الباحث– إلا عند عريب بن سعد القرطبي (المتوفى عام٣٦٩هـ/٩٧٩م) [٤]– التي اعتمد عليها آدم متز– في حين لم تذكرها باقي المصادر التاريخية الأخرى.

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٧٧٠، آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص ١٥.

(٢)ابن الجوزي: المنتظم، ج٦، ص٢٤٣، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٧٧٠، آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص ١٧.

(٣) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص ١٦، ونقل ذلك أيضا مصطفى جواد: سيدات البلاط العباسي، دار الكشاف للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، عام ١٩٥٠م، ص ٨٩.

(٤) صلة تاريخ الطبري، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، د.ت، ص١٢٣.

ويمكن القول: إن هذه الرواية ليس لها أساس تاريخي، لأنها لو حدثت بهذه الصورة لاهتمت باقي المصادر بذكرها؛ فحدوث مثل ذلك من والدة الخليفة وكشفها عن عورتها، وهي امرأة مسلمة، منسوبة إلى بيت الخلافة، تعرف حدود المرأة الشرعية ولا يمكن للمصادر إهمالها، وخاصة أنها كانت مسيطرة على الحكم ولها كثير من الأعداء الذين يترصدون بها، ويريدون أي فعل خارج عن حدود المرأة المسلمة للتشهير بها، كما أن المصادر قد ذكرت كل ما فعلته السيدة شغب حتى وفاتها من أعمال، وحادثة مثل هذه لا يمكن تجاهلها.

وقد نالت الجواري والقهرمانات[١] ودورهن في قصور الخلفاء جانبًا كبيرًا من اهتمام آدم متز، فتحدث عنهم في مواضع متعددة من كتابه، مبرزًا الدور الذي لعبته الجواري والقهرمانات في قصور الخلفاء العباسيين.

طغت ظاهرة الجواري على دار الخلافة في العصر العباسي، فكان عددهن كبيرًا داخل قصر الخليفة، ولم يقتصر امتلاك الجواري على الخلفاء فقط، بل كان لنسائهم عدد كبير من الجواري أيضا[٢].

وقد بالغ المؤرخون في أعداد الجواري داخل قصور العباسيين ؛ فذكر المسعودي أن الخليفة المتوكل[٣] (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٦-٨٦١م) كان له عدد من

(١) مفردها قهرمانة، وهي لفظة فارسية معربة، وكانت تستخدم عند الفرس للدلالة على الخازن والوكيل والقائم بأمور الشخص. وقد تطلق على المرأة القائمة بتدبير أمور المنزل. وقد اشتهر إطلاقها في العصر العباسي على نوع من النساء أعلى مكانة وأرفع منزلة وشأنًا في شريحة الجواري التي تنتمي إليها. ابن منظور: لسان العرب، ج١٢، ص٤٩٦، السيد أدي شير: معجم الألفاظ الفارسية المعربة، دار العرب، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م، ص١٣٠، سولاف فيض الله حسن: دور الجواري والقهرمانات في دار الخلافة العباسية، نشر مكتبة عدنان، بغداد، ط١، عام ٢٠١٣م، ص ٣٤.

(٢) سولاف فيض الله: دور الجواري والقهرمانات، ص٣٧.

(٣) أبو الفضل بن المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد، ولد سنة ٢٠٥هـ/٨٢٠م، وتولى الخلافة عام ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م بعد وفاة الواثق. وظل في الخلافة حتى قُتل عام ٢٤٧هـ/ ٨٦١م. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٨، ص٤٥، الذهبي: تاريخ الاسلام، ج٥، ص١٠٩٧.

الجواري السرائر[١] وصل عددهن إلى أربعة آلاف[٢]، وبالغ الخوارزمي في عددهن؛ فنقل أنه قد وصل إلى اثني عشر ألف جارية، وأنه كان يتسرى بهن جميعا[٣].

ورغم الإقرار بكثرة الجواري في قصور العباسيين والتي تحدثت عن أعدادهن كثير من المصادر فإن ما ذكره المسعودي والخوارزمي يعد مبالغة كبيرة للغاية، حتى إن الخوارزمي قد علق على هذا العدد بقوله: وما زعمه بعضهم[٤].

كما أن المسعودي في ورايته قد صدرها بقوله : «ويقال: إنه كان له أربعة آلاف سرية وطأهن كلهن»، فورودها بصيغة "ويقال"، تصيب الرواية بالجهالة من حيث مصدرها، فمن القائل؟!!، ومما يضفي على تلك الرواية ظلالًا من الشك حول حدوثها – لا سيما أنها متعلقة بشخص الخليفة أن المؤرخين المتقدمين مثل خليفة ابن خياط (ت: ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) ، والطبري(ت : ٣١٠هـ /٩٢٢م)، لم يتناولوا هذا الخبر، ولا غيرهم ممن عاصروه، أو ممن يهتمون بتلك الأخبار كالتنوخي (ت:٣٨٤هـ/٩٩٤م)، كما أن الخبر فيه مبالغة وافتعال؛ فكيف لرجل أن يطأ أربعة آلاف سرية؟!!، فأي قدرة كان عليها المتوكل؟!!، فهو أمر

(١) السرائر جمع سرية، وهو اسم أطلق على الجارية التي تعزل في محل مستور من البيت؛ ليقوم مالكها بنكاحها. ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ص٣٥٨، سولاف فيض الله: دور الجواري والقهرمانات، ص٣٧.

(٢) مروج الذهب، ج٤، ص٤٠. وأيضا، آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص ٢٤٢.

(٣) "محمد بن موسى، أبو بكر الخوارزمي الحنفي، ت، ٤٠٣هـ/١٠١٢م" رسائل الخوارزمي، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، تركيا، ط١، عام١٢٩٧هـ، ص١٣٧. وأيضا، آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص ٢٤٢.

(٤) رسائل الخوارزمي، ص١٣٧.

غير معقول[١]، وقد علق أحد المؤرخين البريطانيين على رواية المسعودي هذه، فقال :«وما دامت هذه الأرقام جاءت عن طريق المسعودي الذي كان دومًا مراقبًا للقصص المثيرة للدهشة فإننا نتعامل معها بحذر»[٢].

وقد لعب الجواري والقهرمانات دورًا كبيرًا في خلافة المقتدر، فكن يتدخلن في تدبير شئون الدولة جنبا إلى جنب مع الوزراء والقادة، بل كان لهم اليد العليا في العزل والتولية، فكانت تسير الأمور وفق أهوائهن[٣].

ومن الجواري اللائي لعبن دورا كبيرا في خلافة المقتدر القهرمانة زيدان[٤] قهرمانة السيدة شغب والدة الخليفة، التي نالت ثقة المقتدر، وقد بلغت من ثقته بها أنه جعلها مسئولة عن السجن المخصص لكبار رجال الدولة الذين يغضب عليهم أو يقرر عزلهم ووضعهم في السجن[٥].

فعندما غضب الخليفة المقتدر على وزيره أبو الحسن بن الفرات[٦] وقرر عزله من الوزارة الأولى عام٢٩٩هـ/٩١١م[١] تم تسليمه لزيدان ليتم حبسه في السجن الذي كانت تقوم بالإشراف عليه[٢].

---

(١) محمود عبد الفتاح أبو طه : آراء ول ديورانت حول الحضارة الإسلامية(دراسة تحليلية نقدية في كتاب قصة الحضارة)، منشورات مجمع البحوث الإسلامية، مصر، ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م، ص٢٦١.

(٢) هيو كينيدي: بلاط الخلفاء ، ص٢٢٧.

(٣) المسعودي: التنبيه والأشراف، ص ٣٢٨، ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج٥، ص٦٥.

(٤) كانت زيدان رومية الأصل وصلت لدار الخلافة عن طريق الشراء من سوق النخاسة بمدينة سامراء في عهد المعتضد بعشرة آلاف درهم. سولاف فيض الله: دور الجواري والقهرمانات، ص١٢٨.

(٥) ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج٥، ص٩٢، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٦٤٨، آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص ٢٤٣.

(٦) كان سبب هذا الغضب كما نقل بعض المؤرخين، أن ابن الفرات تعدى على نفقات قصر =

وفي عام٣٠٤ هـ/٩١٦م عندما عزل الخليفة المقتدر بالله الوزير علي بن عيسى[٣] من الوازرة[٤] تم تسليمه إلى القهرمانة زيدان[١]، ووضع أيضا في

=

قصر الخلافة ورفض إرسال الأموال المقررة للخليفة وأمه، فاستغل الحاقدون على ابن الفرات ذلك وأوقعوا به عند الخليفة مدعين أنه يتآمر مع الجند ضد الخلافة، وأنه طلب منهم الدخول إلى بغداد للتخلص من الخليفة ووالدته. الصابي: تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص٢٦، ابن خلكان "أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم، ت: ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م" وفيات الأعيان، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط٧، عام ١٩٩٤م، ج٣، ص٤٢١.

(١) تولى الوزارة بعدها مرتين عام٣٠٤هـ/٩١٦م ثم عزل، وعام٣٠٩هـ/٩٢١م. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٧، ص٢٥٣، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢٢، ص٩١.

(٢) الصابي: تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص٢٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٦٤٨، آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص ٢٤٣.

(٣) أبو الحسن، علي بن عيسى بن داود بن الجراح البغدادي. ولد عام ٢٤٤هـ/٨٥٨م. تولى الوزارة للمقتدر والقاهر. توفي عام ٣٣٤هـ/٩٤٥م وله من العمر تسعون سنة. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٣، ص٤٩٥، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص٢٩٨.

(٤) رغم السيرة الحسنة والكفاءة التي أبداها الوزير علي بن عيسي في الوزارة، إلا أنه تعددت الأسباب التي جعلت المقتدر يغضب على وزيره ويتخلص منه، بوضعه داخل السجن ومصادرة أملاكها، فقيل: إن الوزير ابن الفرات كان في أثناء وجوده في السجن يراسل الخليفة ووالداته ويطلب منهما العفو والصفح عما فعله من حجبه أموال قصر الخلافة ومنع بيت المال من إرسالها، ويتعهد لهما بأنه إن عاد للوزارة فسوف يمتنع عن ما فعله قبل ذلك. وقيل: إن السبب في العزل هو غضب القهرمانة أم موسي الهاشمية –قهرمانة السيدة شغب– عليه، فقد ذُكر أنها ذهبت إليه لتتفق معه على ما يحتاج حرم دار الخلافة والحاشية من الكسوات والنفقات، فوصلت إليه وهو نائم، فقال لها حاجبه: إنه نائم ولا أستطيع أن أوقظه، فاجلسي في الدار ساعة حتى يستيقظ، فغضبت من هذا وعادت. وعندما استيقظ علي بن عيسى وعلم بما حدث أرسل إليها من يعتذر لها، فلم تقبل منه، وحرضت عليه المقتدر وأمه؛ فعزل عن الوزارة وقبض عليه. ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج٥، ص٩٥، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٦٤٥.

الحبس الذي كانت تشرف عليه[٢]. وكان مما سُلم إليها للحبس عندها الحسين بن حمدان[٣] الذي غضب عليه الخليفة بعد خروجه عن طاعته، وامتناعه عن تأدية الأموال المقررة على المناطق التي كان واليا عليها، فأرسل إليه الخليفة من يقاتله حتى قبض عليه ومعه أفراد أسرته[٤]، وسلم إلى زيدان القهرمانة ووضع في الحبس عندها، وذلك عام ٣٠٣ هـ/٩١٥م[٥].

وقد بلغت القهرمانة زيدان مكانة كبيرة في قصر الخلافة العباسية حتى أصبح يهابها ويتقرب إليها كبار رجال الدولة، فذكر الصابي أن الوزير ابن الفرات كان من عادته الدعاء للسيدة – والدة الخليفة– وقهرماناتها، لكنه كان بعد ذكره لزيدان يخصها بقوله أختي تقربا لها[٦].

وتمثل الدور الأكبر للقهرمانات في عهد المقتدر في أم موسى الهاشمية[٧] التي كانت قهرمانة للسيدة أم جعفر والدة الخليفة، وقد بلغت من مكانتها أنها

=

(١) ذكر آدم متز: هذه الحادثة في حوادث عام ٣٠٣ هـ/٩١٥م. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص ٢٤٣. في حين ذكرتها المصادر في عام ٣٠٤هـ/٩١٦م. ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج٥، ص١٤٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٦٤٨.

(٢) ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج٥، ص١٤٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٦٤٨، آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص ٢٤٣.

(٣) الحسين بن حمدان بن حمدون أبو عبد الله التغلبي، عم سيف الدولة الحمداني. كان من وجوه الأمراء، قدم دمشق في جيش أرسله المكتفي لقتال الطولونيين، وقدمها مرة أخرى لحرب القرامطة، كان له حروب متعددة مع الروم، خلع عليه المقتدر وولاه ديار ربيعة سنة٢٩٩هـ/٩١١م. توفي عام٣٠٦هـ/٩١٨م. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج١٤، ص٥٨، الذهبي تاريخ الإسلام، ج٧، ص١٠٣.

(٤) ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج٥، ص٩٣، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٤٣٩؛٤٤٠.

(٥) ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج٥، ص٩٣، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٤٣٩؛٤٤٠، آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص ٢٤٣.

(٦) تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص١٦٦.

(٧) هي أم موسي بنت العباس بن محمد بن سليمان بن محمد بن إبراهيم الإمام؛ ورغم أنها كانت

=

كانت تحمل الرسائل الخاصة من المقتدر ووالدته إلى الوزراء وكبار رجال الدولة(١).

وكان لقربها من السيدة –شغب والدة الخليفة– تأثير كبير في قرارات الخليفة، ففي عام٣٠٩هـ/ ٩٢١م استطاعت بسطوتها ونفوذها جَعْل المقتدر يولي أخاها أحمد(٢) نقابة الطالبيين(٣)، فاحتج الهاشميون على ذلك لعدم توفر الشروط

=

تنسب إلى أحد بيوت العباسيين الكبيرة، فإن المصادر لم تشر إلى الكيفية التي وصلت بها إلى أن أصبحت قهرمانة للسيدة شغب والدة الخليفة المقتدر. ابن حزم" أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، ت: ٤٥٦هـ /١٠٧٢م" جمهرة أنساب العرب، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٣٢، سولاف فيض الله: دور الجواري والقهرمانات، ص١٢٠.

(١) ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج٥، ص٧٢، النويري" أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم ، ت: ٧٣٣هـ/١٣٣١م" نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، عام ١٤٣٢ هـ ، ج٢٣، ص٤٣.

(٢) أحمد بن العباس بن محمد بن سليمان بن محمد بن إبراهيم الإمام، أبو بكر الهاشمي. كان إليه أمر الإمامة في الصلاة بالحرمين والبصرة، وغيرها من الأمصار. تولى إمارة الحج في عهد المقتدر أكثر من مرة. توفي بعد عام ٣١٠ هـ/٩٢٢م. المسعودي: مروج الذهب، ج٤، ص٣١٢، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٥، ص٥٣٧.

(٣) هي نقابة كانت مهمتها النظر في أحوال الأشراف من أولاد علي بن أبي طالبﷺ من زوجه السيدة فاطمة – رضي الله عنها– بنت رسول الله ﷺ بالفحص عن أنسابهم ومنع المدعين من الانتساب إليهم، والاهتمام بشئونهم العامة والخاصة. الماوردي" أبو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردي، ت:٤٥٠ هـ /١٠٥٨م" الأحكام السلطانية في الولايات الدينية، تحقيق، أحمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة، الكويت، ط١، عام ١٤٠٩هـ /١٩٨٩م، ص١٥٥ وما بعدها. وكان لهذه النقابة شخص مسئول عنها يطلق عليه النقيب وقد حدد القلقشندي شروط اختياره ومهمته بقوله: «ولا يكون إلا من شيوخ هذه الطائفة وأجلّهم قدرا؛ وله النظر في أمورهم، ومنع من يدخل فيهم من الأدعياء؛ وإذا ارتاب بأحد أخذه بإثبات نسبه. وعليه أن يعود مرضاهم، ويمشي في جنائزهم، ويسعى في حوائجهم، =

المناسبة فيه لتولي هذا المنصب، وطالبوا أن يتولاه محمد بن أحمد بن عبد الصمد[١] ابن النقيب السابق[٢] للنقابة، وأمام هذه الضغوط اضطر المقتدر لإسنادها له[٣].

وقد نتج عن هذا التدخل من السيدة – شغب– والدة الخليفة وجواريها وقهرماناتها في شئون الحكم أنهم جميعا دفعوا الثمن وراء هذا التدخل، فهذه أم موسى الهاشمية التي بلغت من سطوتها ونفوذها التدخل في عزل الوزراء وتوليتهم– كما سبق ذكر عزلها للوزير علي بن عيسى– فقد انقلبت عليها سيدتها بعد اتهامها بأنها تدبر لخلع الخليفة وتولية أحد أحفاد الخليفة المتوكل مكانه، ففي عام ٣١٠هـ/٩٢٢م طلبت من المقتدر القبض عليها ومصادرة أموالها[٤].

=

ويأخذ على يد المتعدّي منهم، ويمنعه من الاعتداء، ولا يقطع أمرا من الأمور المتعلقة بهم إلا بموافقة مشايخهم ونحو ذلك». "أحمد بن علي بن أحمد الفزاري، ت: ٨٢١هـ/١٤١٨م" صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، د.ت، ج٣، ص٥٥٧.

(١) محمد بن أحمد بن عبد الصمد بن صالح بن علي بن المهدي بالله، أبو عبد الله الهاشمي المعروف بابن طومار. ولي نقابة العباسيين والطالبيين أيام المقتدر وكان يعرف الأنساب معرفة حسنة. توفي عام ٣٢٠هـ/٩٣٢م. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢، ص٧٧.

(٢) كان والده أحمد يتولى هذه النقابة حتى وفاته عام ٣٠٢ هـ/٩١٤م. عريب القرطبي: صلة تاريخ الطبري، ص٣٣ ، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٧، ص٤٢.

(٣) عريب القرطبي: صلة تاريخ الطبري، ص٣٣، آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص ٢٤٣.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٦٨٠، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٧، ص٢٦.

ثم أتى الدور على السيدة شغب لتدفع ثمن هذا التدخل المفرط في شئون الحكم والسيطرة على قرارات ابنها، حتى إنها جعلته في موضع المقهور(١) المنفذ لأوامرها الذي لا حيلة له في اتخاذ قرارته(٢). فقد قتل ابنها الخليفة الذي عملت بكل قوتها من أجل أن يصل إلى هذا المنصب، حيث قتل عام ٣٢٠ هـ/ ٩٣٢م(٣)، بتلك الصورة البشعة التي سبق ذكرها.

وازداد أمرها سوءًا بعد وفاة المقتدر وتولي القاهر الخلافة (٣٢٠-٣٢٢هـ/٩٣٢-٩٣٣م)(٤)، فقد قبض الخليفة عليها وأذاقها أنواع التعذيب والإيذاء بصورة بشعة(٥) حتى توفيت عام٣٢١ هـ /٩٣٣م(٦).

(١) يفسر الباحثون في علم النفس ظاهرة تسلط السيدة شغب- ومن على شاكلتها من المحبين للتسلط- نتيجة للظروف والملابسات التي صاحبت تكوين شخصيتها خلال فترات حياتها، فقد عاشت السيدة شغب فترات من القهر منذ أن تم بيعها في سوق النخاسة، بالإضافة إلى المعاملة السيئة التي وجدتها من زوجها الخليفة المعتضد الذي كان متسلطا عليها كابحا لجماحها وطموحاتها ومفضلا لجواريه وزوجاته الأخريات عليها؛ لذلك أعلنت الحرب على كل رجل وأرادت جعله مقهورا مغلوبا أمامها حتى ولو كان من أقرب الناس إليها. تيسير محمد شادي: النساء في عهد الخليفة المقتدر العباسي، ص٢٣٠.

(٢) عمر رضا كحالة: أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، د.ت، ج٥، ص٦٧.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج٦، ص٢٤٣، آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص ١٧.

(٤) أبو منصور محمد بن المعتضد بالله بن الموفق طلحة بن المتوكل. بويع بالخلافة بعد مقتل المقتدر عام ٣٢٠ هـ/٩٣٢م ولقب بالقاهر، وظل بها سنة وسته أشهر، ثم تم خلعه وسملت عينه وظل مصابًا بالعمي حتى توفي عام ٣٣٩هـ/٩٤٠م. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٢، ص١٩٣، الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص٩٨.

(٥) للمزيد عن التعذيب الذي تعرضت له السيدة شغب على يد القاهر وسبب ذلك راجع، عريب القرطبي: صلة تاريخ الطبري، ص١٢٨، ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج٥، ص٣٣١، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٧٧٣، تيسير محمد شادي: النساء في عهد الخليفة المقتدر العباسي، ص٢٥٤؛٢٥٥.

(٦) عريب القرطبي: صلة تاريخ الطبري، ص٤٨، ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج٥، ص٣٤٩، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٧٧٨.

وأمام هذه التجربة المريرة من السيدة شغب وغيرها من أمهات الخلفاء اللائي لعبن دورًا سلبيا في حياة أبنائهن، والذي كان مصدرًا لكثير من المنازعات، فكان كثيرًا ما يتم اختيار خلفاء لا أم لهم رجاء أن تستقيم الأمور(١).

والحقيقة أن الخلفاء العباسيين خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ظلوا يتركون للجواري والقهرمانات التدخل في شئون الحكم وفرض سيطرتهم عليهم، الأمر الذي انتهى بفجيعة كبيرة للخليفتين المتقي لله (٣٢٩-٣٣٣ هـ /٩٤٠-٩٤٤م)(٢) والمستكفي بالله(٣٣٣-٣٣٤ هـ / ٩٤٠-٩٤٥م)(٣) فكلاهما سملت عينه ووضع في السجن حتى وفاتهما.

(١) آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص٢١.

(٢) إبراهيم بن جعفر –المقتدر– بن المعتضد بن الموفق طلحة بن المتوكل، ولد سنة٢٩٧هـ/٩٠٩م، وتولي الخلافة سنة ٣٢٩هـ/٩٤٠م، بعد أخيه الراضي بالله، ولقب بالمتقي لله، ثم خلع منها عام ٣٣٣هـ/٩٤٤م، ثم سملت عينيه، وبقي على قيد الحياة إلى أن مات سنة ٣٥٧هـ/٩٦٧م. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٥، ص ٦٦٤، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٧، ص٦٦٩.

(٣) عبد الله بن المكتفي بالله بن المعتضد بن الموفق كان يكني أبا القاسم ويلقب بالمستكفي، ولد سنة ٢٩٢هـ/٩٠٤م، بويع بالخلافة بعد خلع المتقي سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م، ثم بعد سنة وعدة أشهر عام ٣٣٤هـ/٩٤٥م تم خلعه وسملت عينه ووضع في السجن حتى توفي عام ٣٣٨هـ/٩٤٩م. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١١، ص ١٧٩، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٧، ص٦٧٩.

وكان تدخل الجواري في الحكم أحد الأسباب القوية التي أدت إلى هذه النهاية المؤلمة لهما، وخاصة الدور الذي لعبته الجارية حُسن (عَلَمَ) الشيرازية[١] التي دبرت مؤامرة كبيرة بدسائسها ووشايتها انتهت بعزل المتقي لله وسمل عينه، ووضعه في السجن، وأخذ البيعة للخليفة المستكفي، فقد ذكرت العديد من المصادر التاريخية رواية عن هذه المؤامرة التي اشترك فيها عدد من كبار رجال الدولة، والتي كانت بطلتها الجارية حُسن الشيرازية، ومفادها أن أبا العبّاس التميمي الرازي[٢] وكان من أقرب الناس إلى الأمير توزون[٣] قال: كنت أنا السبب فيما جرى للمتقي: وذاك أنّ إبراهيم الديلمي[٤] لقيني يوما وسألني أن أصير إلى دعوته؛ فاستأذنت توزون في ذلك فأذن لي ومضيت إليه في بيته،

(١) هي إمرأة فارسية الأصل من منطقة شيراز، وتعرف باسم حُسن. كانت في البداية زوجة لأحد كُتاب الأمير التركي توزون أحد كبار الأمراء في عصر الخليفة المتقي، الأمر الذي جعلها على علاقة بقصر الخلافة، وعندما توفي زوجها تحولت للإقامة بدار الخلافة لتصبح قهرمانة به، وغيرت اسمها ليصبح عَلَمَ بدلا من حُسن. وكانت نهايتها مؤلمة؛ حيث قبض عليها معز الدولة البويهي بعد اتهامها بأنها تتآمر ضد البويهيين، فأمر بسمل عينها وقطع لسانها سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م. ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج٦، ص١١٣، ابن العمراني" محمد بن علي بن محمد، ت: ٥٨٠هـ /١١٨٤م" الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق، قاسم السامرائي، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط١، عام ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص١٧٥.

(٢) لم يعثر الباحث على ترجمة له فيما تيسر من مصادر.

(٣) أبو الوفا توزون، كان تركي الأصل، ترقي في المناصب حتى أصبح من كبار القادرة في عهد المتقي ومن أكبر مدبري الأمور في عهده. خاض معارك متعددة مع الحمدانيين والبويهيين حتى توفي بمرض الصراع عام ٣٣٤هـ/٩٤٥م. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٧، ص٦٣٢، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٤، ص١٨٤.

(٤) لم يعثر الباحث على ترجمة له فيما تيسر من مصادر.

فسألته عن السبب في تلك الدعوة وقلت: أحسبك قد تزوّجت، فقال: أنا أحدّثك عن أمرى: اعلم أنّى خطبت إلى قوم من الفرس وتجمّلت عندهم بأن ادّعيت أنّ لي محلّا من الأمير– توزون– واختصاصا به، فقالت لي المرأة: إذا كنت بهذه المنزلة فهل لك أن تسفر في شيء يجمع صلاح الأمير وصلاحك وصلاح المسلمين؟ فقلت لها: نعم.

قالت: هذا الخليفة المتقي لله قد عاداكم وعاديتموه وكاشفكم وكاشفتموه وليس يجوز أن تصفو نيته لكم آخر الدهر وقد اجتهد في بواركم فلم يتم له، فمرّة ببني حمدان ومرّة ببني بويه[1] وهاهنا رجل من ولد الخلافة من فهمه وعقله ودينه فتتصبونه فيها وتزيلون المتقي لله، وهو يثير لكم أموالا جليلة لا يعرفها غيره ولا يقدر عليها سواه، وتكونون أنتم قد استرحتم من عدوّ تريدون أن تحرسوه وتحترسون منه، وتخافونه ويخافكم، وتقيمون رجلا من قبلكم يرى أنّكم قد أحسنتم إليه وأنّ روحكم مقرونة بروحه.

وأطالت الكلام في هذا المعنى فهوّستنى ودار كلامها في نفسي وعلمت أنّ محلى لا يبلغ الكلام في مثله والسفارة فيه، وكرهت أن أكذّب نفسي عندها لما ادّعيته من المحلّ والمنزلة، فأطمعتها في ذلك وعلمت أنّ هذا الأمر لا يتمّ إلّا

(١) من الأسر التي ظهرت في القرن ٤هـ/١٠م. تنسب الأسرة البويهية إلى رجل ديلمي فقير كان يعمل صياداً على شواطئ بحر قزوين وهو أبو شجاع بويه. استطاع البويهيون بفضل قوتهم وبأسهم إقامة دولة قوية في الجزء الغربي من بلاد فارس(٣٣٤هـ ـ٤٤٧ هـ) ثم استطاعوا بعد ذلك السيطرة على الخلافة العباسية، فسلبوا الخلفاء العباسيين سلطاتهم وألقابهم وأدخلوا اسمهم مع اسم الخليفة في خطبة الجمعة، كما سيطروا على السكة وهي الرمز الثاني للخليفة، فحذفوا منها لقب أمير المؤمنين واكتفوا بذكر اسم الخليفة مجردا في حين ذكر الأمير البويهي اسمه ولقبه وكنيته. علي حسن غضبان: البويهيون في فارس، نشر، مكتبة عدنان، بغداد، ط١، ٢٠١٤م، ص ٩٧.

بك ولا يقدر عليه غيرك، وقد أطلعتك عليه فأي شيء عزمك أن تعمل؟ فقلت: أريد أن أسمع كلام المرأة. فجاءني بامرأة تتكلم بالعربية والفارسية من أهل شيراز، جزلة شهمة فهمة فخاطبتني بنحو ما خاطبني به الرجل فقلت لها: لا بد من أن ألقى الرجل وأسمع كلامه. فقالت: تعود غدا إلى ههنا حتى أجمع بينك وبينه. فلمّا كان من غد عدت فوجدت رجلا وعرّفنى أنّه عبد الله بن المستكفي بالله. ووجدته رجلًا حصيفا ذا فهم، ووجدته مع هذا يتشيّع، ورأيته عارفا بأمر الدنيا وضمن لي ستمائة ألف دينار، منها مائتي ألف دينار للأمير توزون، فأتيت توزون فأخبرته فوقع الكلام في قلبه.

ودار بين الأمير توزون والمتقي مراسلات للإيقاع به حتى جاء الخليفة إلى توزون فحاصره الجنود، وتم القبض عليه وسلم للجارية حُسن فسملت عينه- أُعمي- على يد غلام لها بعد أن رفض القادة فعل ذلك، وتمت البيعة للمستكفي عام ٣٣٣هـ/٩٤٤م[١].

(١) وردت هذه الرواية في العديد من المصادر للمزيد راجع: ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج٦، ص ١٠٣، ابن العمراني: الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص١٧٥، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص١٣٤، ابن العبري" غريغوريوس بن أهرون بن توما الملطي، أبو الفرج، ت: ٦٨٥هـ/١٢٨٦م" تاريخ مختصر الدول، تحقيق، أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق، بيروت، ط٣، عام ١٩٩٢م، ج١، ص١٦٦، آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص ٢١.

ويري الباحث أن هذه الرواية يوجد عليها العديد من الملاحظات:

أولا: لم تشر الرواية إلى سبب هذا الموقف السلبي الذي اتخذته الجارية حُسن من المتقي، ولماذا أقدمت على الوشاية به حتى يتم سمل عينه بهذه الطريقة البشعة ووضعه في السجن؟.

ثانيا: لم تذكر الرواية –أيضا– العلاقة بين المستكفي قبل توليه الخلافة بهذه الجارية، ولماذا خصها هي دون غيرها بأن تسعى لتوليه الخلافة؟ رغم أنها لم تكن في ذلك الوقت من الجواري المقربات منه، فقد التحقت بقصر الخلافة بعد تولي المستكفي الخلافة، وكل ما ذكر أنها كانت في أثناء خلافة المتقي تتردد على قصر الخلافة وتختلط بأهل الخليفة [١].

ثالثا: الرواية بها ألفاظ تدل على وجود نزعة عنصرية وصراع طائفي، فورد بها أن «حُسن» كانت فارسية الأصل وأن المستكفي يميل إلى التشيع.

رابعا: هذه الرواية رغم ورودها في العديد من المصادر واتفاقها في كثير من الأمور، فإن بها اختلافات يمكن القول معها: إنها ربما تكون سببا في عدم دقتها، مثل المبلغ الذي عرضه المستكفي عليهم، ففي حين ذكرته بعض المصادر بأنه ستمائة ألف دينار[٢]، ذكرته أخرى بثمانية ألف[٣]، وكذلك المبلغ الذي تحصل عليه توزون فمرة مائة ألف ومرة مائتي ألف[٤]. وكذلك وجود بعض الشخصيات المجهولة التي لم يعثر الباحث على ترجمة لها – في حد علمه– مثل أبو العباس التميمي وإبراهيم الديلمي.

(١) ابن العمراني: الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص١٧٥.

(٢) ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج٦، ص ١٠٣، آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص ٢١.

(٣) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ج١، ص١٦٦.

(٤) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ج١، ص١٦٦.

ونتيجة لهذا الدور من الجارية حُسن في تولية المستكفي، فقد انتقلت إلى قصر الخلافة وغيرت اسمها إلى عَلَمَ[١]، وأصبح بيدها مقاليد الحكم، وطغت بسلطانها على المستكفي، فأصبحت تأمر وتنهى دون العودة للخليفة[٢]؛ مما كان له تأثير على المستكفي، الذي لم يستطع كبح جمحها؛ فأضجت مضجعه ولم تقر عينه بوجودها معه[٣]، ويعلق آدم متز على ذلك بقوله:« ثم خلفه المستكفي بعد أن تآمر عليه مع توزون، وسفرت بينهما حُسن الجارية الشيرازية، فارتقي المستكفي عرش الخلافة بهذه المؤامرة... ونادرًا ما كانت تقر عينه بمنصبه، وهو بين امرأة جشعة رفعته بدسائسها إلى منصب الخلافة، وبين الترك الذين أصبحوا سادة بغداد»[٤].

وقبل أن نختم الحديث عن دور نساء القصر وجواريهم في حياة الخلفاء يجدر الإشارة إلى أن (متز) ذكر أن جميع أمهات خلفاء القرن الرابع الهجري كانوا جواري، وهو الذي يراه الباحث موافقا لما ذكرته المصادر التاريخية، إلا أنه ذكر أن جميعهم كانوا نساء صقلبيـــات[٥] الأصل[٦].

وبرجوع الباحث إلى المصادر التاريخية يمكن القول: إن ما ذكره متز يختلف مع ما ورد عن أصول أمهات خلفاء هذا القرن، فلم تذكر المصادر أن

(١) ابن العمراني: الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص١٧٥، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ج١، ص١٦٦.

(٢) الهمذاني" محمد بن عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد، أبو الحسن الهمذاني المعروف بالمقدسي، ت: ٥٢١هـ/١١٢٧م" تكملة تاريخ الطبري، تحقيق، ألبرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط١، عام ١٩٥٨م، ص١٣٤، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٧، ص٦٣٢.

(٣) سعيد أبو العينين: حكايات الجواري في قصور الخلافة، نشر دار أخبار اليوم، القاهرة، ط١، عام ١٩٩٨م، ص٤٧.

(٤) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ص١٤٧.

(٥) الصقالبة أو السلاف(Slaves) تسمية أطلقها الجغرافيون العرب على عدد من الشعوب المنحدرة من أصول شتى، كانت تقيم في الأراضي المجاورة لبلاد الخزر بين القسطنطينية وأرض البلغار، ومنهم من سكن شمال شرق القارة الأوربية وعلى ضفاف نهر الفولجا. ومفرد صقالبة: صقلب أو صقلبي أو صقلابي، ثم أصبح لفظ الصقالبة يستخدم للرقيق الأبيض، حيث كان النخاسون يحملونهم، ويتاجرون بهم في أنحاء العالم. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص ٤١٦، محمود شاكر: موسوعة التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢،عام١٩٩٤م، ج٢١، ص ٢٦.

(٦) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ص١٤٧.

أصلهن صقلبي، ولكن الذي ذُكر أنهن روميات أو مغربيات أو مجهولات الأصل(١).

ولكن ما السبب الذي جعل الخلفاء منذ بداية العصر العباسي يقبلون على الجواري ويجعلونهن مفضلات على الحرائر؛ حتى ملكن قلوب بعض الخلفاء وأسماعهم وأبصارهم بهذه الطريقة التي جعلتهم ألعوبة في يد بعضهن؟.

والحقيقة أن الجاحظ قد بيّن السبب في ذلك بقوله: « ... التي من أجلها صار أكثر الإماء أحظى عند الرجال من أكثر المهيرات– أي الحرة التي تأخذ مهرًا– : أن الرجل قبل أن يملك الأمة قد تأمل منها كل شيء وعرفه، ما خلا حظوة الخلوة، فأقدم على ابتياعها بعد وقوعها بالموافقة. والحرة إنما يستشار في جمالها النساء، والنساء لا يبصرن من جمال النساء وحاجات الرجال وموافقتهن قليلاً ولا كثيراً. والرجال بالنساء أبصر. وإنما تعرف المرأة من المرأة ظاهر الصفة، وأما الخصائص التي تقع بموافقة الرجال فإنها لا تعرف ذلك»(٢).

(١) راجع قائمة بأسماء أمهات الخلفاء العباسيين خلال القرن الرابع الهجري، وأصولهن بملاحق الدراسة.

(٢) رسائل الجاحظ، ج١، ص١٥٧.

المبحث الثاني: دور نساء وجواري العامة.

إن المطالع لكتاب «آدم متز» يلاحظ أنه مثلما أفاض الحديث عن دور نساء القصر وجواريهم، أفاض الحديث–أيضا– عن نساء وجواري العامة مبرزًا دورهن في الميدان الاجتماعي والاقتصادي والعلمي.

لقد نالت المرأة مكانة مهمة في المجتمع الإسلامي، فقد عمل الحكام والوزراء على الحفاظ على حقوقها، وعدم العبث بممتلكاتها أو ما ورثته من مال، ففي عام ٣٤٠هـ/ ١٠٣٩م توفي رجل بمصر وترك مالا كثيرا، ولم يخلف سوى بنت واحدة، فورثت جميع ماله، فتطاول الناس لتزويجها لأجل كثرة مالها، ومن جملتهم القاضي عبد الحاكم بن سعيد[١]، فعندما رفضت الزواج منه، أراد السيطرة على كل مالها فجمع أربعة رجال ليشهدوا بأنها سفيهة، وأنه بحكم كونه القاضي فهو وصي عليها؛ لكونها ليس لها من يشرف على مالها، وبذلك حصل له الاستيلاء على مالها، فشكت ذلك للوزير أبي القاسم الجرجرائي[٢] الذي تحرى أمرها ووجد أنها ليست كما قيل عنها، فعمل لها محضرا برشدها، وأشهد على ذلك مجموعة من الشهود.

(١) عبد الحاكم بن سعيد بن مالك الفارقي، أبو الفتح، ولي قضاء طرابلس، وانتقل إلى القضاء بمصر، ثم صُرف عنه سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٥م. فلزم بيته إلى أن مات ٤٣٥هـ/ ١٠٤٢م. ابن حجر" أحمد بن علي بن محمد، ابن حجر العسقلاني، ت: ٨٥٢هـ /١٤٤٨م" رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق، علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١،عام ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص٢٠٨، الزركلي: الأعلام، ج٣، ص٢٧٧.

(٢) علي بن أحمد، أبو القاسم الجرجرائي نسبة إلى بلدة بالعراق، تولى الوزارة بمصر للظاهر لإعزاز دين الله، ثم للمستنصر الفاطمي. توفي عام ٤٣٦هـ/١٠٤٤م. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٩، ص٥٥٦، الزركلي: الأعلام، ج٤، ص٢٥٤.

ثم أمر الوزير بإحضار القاضي فأحضر مهانا، ووكل من استعاد منه المال، ثم قبض الوزير على الشهود الذين شهدوا بسفهها، فأودعهم السجن(١).

وقد نقل متز هذه القصة عن ابن حجر العسقلاني، ويري الباحث أن التاريخ الذي ذكره متز لهذه الحادثة – وهو عام ٣٤٠هـ/١٠٣٩م –غير دقيق، خاصة أن الوزير الجرجرائي الذي شكت له الفتاة ما حدث لها، توفي عام ٤٣٦هـ/١٠٤٤م، والقاضي عبد الحاكم بن سعيد تولى القضاء بمصر عام ٤١٩هـ/١٠٢٨م، وتوفي عام ٤٣٥هـ/١٠٤٢م، فلا يعقل أن تحدث هذه الحادثة في التاريخ الذي ذكره متز عام ٣٤٠هـ/١٠٣٩م أي قبل وفاة كلٍّ من الوزير والقاضي بمائة سنة تقريبا. ولكن التاريخ الراجح الذي حدثت فيه هذه القصة هو ما ذكره ابن حجر العسقلاني أنها حدثت في شهر ربيع الأخر عام ٤٢٣هـ/ ١٠٣١م(٢).

وقد عمل المسئولون في الدولة الإسلامية على الحفاظ على سمعة المرأة ومنع وقوعها في مواطن الشبهات، فقد عهدوا للمحتسب(٣) بمنع النساء من السير في الطرقات مع رجال قد يظهر عليهم علامات الريبة والشك(٤)، ويقول الماوردي

(١) ابن حجر: رفع الإصر عن قضاة مصر، ص٢٠٨، آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص ٣٨٢.

(٢) رفع الإصر عن قضاة مصر، ص٢٠٨.

(٣) هو الشخص المسئول عن مراعاة الآداب العامة والقيام على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ظهرت وظيفة المحتسب بصورة رسمية في عصر الدولة العباسية، خاصة في عهد الخليفة المهدي (١٥٨- ١٦٩هـ/٧٧٤- ٧٨٥م) الذي كان أول من جعل للحسبة ديوانا خاصا بها. للمزيد راجع: أبو زيد شلبي: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة، د. ط، عام ٢٠٠٨م، ص١٢١، نيقولا زيادة: الحسبة والمحتسب في الإسلام، الدار الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، د.ت، ص٣٠.

(٤) آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ص ١٤٣.

في ذلك: « وإذا رأى وقفة رجل مع امرأة في طريق سابل لم تظهر منهما أمارات الريب لم يعترض عليهما بزجر ولا إنكار، فما يجد الناس بدا من هذا. وإن كانت الوقفة في طريق خال، فخلو المكان ريبة فينكرها، ولا يعجل بالتأديب عليهما حذرا من أن تكون ذات محرم، وليقل: إن كانت ذات محرم فصنها عن مواقف الريب، وإن كانت أجنبية فخف الله-تعالى-من خلوة تؤديك إلى معصية الله تعالى؛ وليكن زجره بحسب الأمارات»[١].

ولكن بعض الحكام قد بالغ في مراعاة هذه الآداب حتى وصل الأمر به إلى التشدد تجاه النساء، فمنعهن من الخروج والمشي في الشوارع والطرقات؛ مثل الحاكم بأمر الله(٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م)[٢]، الذي اتخذ مجموعة من القرارات التي قيد فيه حرية المرأة[٣] فمنعها من المشي في الطرقات، ومنع صناع

(١) الأحكام السلطانية، ص٣٦٣، وأيضا، آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ص ١٤٣.

(٢) أبو علي، منصور بن العزيز نزار بن المعز معد بن المنصور إسماعيل بن القائم محمد بن المهدي، العبيدي. ولد سنة ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م. تولى الحكم بعد والده عام ٣٨٦هـ/٩٩٦م وله من العمر أحد عشر سنة. نُسب إليه كثير من الأعمال الخارجة عن حدود العقل. قيل: إنه خرج إلى جبل المقطم ولم يعرف مصيره، وقيل: إنه قتل عام ٤١١هـ/ ١٠٢٠م. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ١٧٦، المقريزي" أحمد بن علي بن عبد القادر، تقي الدين، ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م" اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق، جمال الدين الشيال، ومحمد حلمي محمد أحمد، نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، ط١، عام ١٩٩٦م، ج٢، ص٤.

(٣) اختلفت أراء الباحثين حول سبب القرارات التي اتخذها الحاكم ضد النساء في عهده، فمنهم من يرى أنه كان يوجد العديد من المبررات التي جعلت الحاكم يأخذ هذه القرارات المقيدة لحرية النساء في عهده، خاصة مع الجرأة الكبيرة التي بدت من النساء؛ حيث خرجن عن حدود الآداب العامة كالخروج سافرات، ومخالطة الرجال، حتى إن بعضهن =

الأحذية من صناعة أحذية لها حتى لا تستطيع الخروج، أما إذا اضطرت المرأة للخروج لتغسيل متوفية أو قابلة للولادة فعليها أن ترفع بذلك طلب لمتولي الشرطة ليسمح لها بالخروج من منزلها، إلى غيرها من الأمور التي حجرت على المرأة وقيدت من حريته(١).

كما كان للجواري أيضا مكانة كبيرة لدى بعض طوائف المجتمع خلال القرن الرابع الهجري، خاصة لدى الأمراء والتجار الذين كانوا يهتمون باقتناء الجواري بصفة عامة، أو اللائي يتميزن بصفات تميزهن عن غيرهن من الجواري الأخريات؛ مثل قرض الشعر أو إلقائه، وكذلك إجادة الغناء والطرب من ذواتي الصوت العذب، فكانت تتمتع بالمكانة الكبيرة، ويدفع فيها الأثمان المرتفعة التي يصل سعرها إلى آلاف الدنانير، فقد اشترى محمد بن رائق(٢) جارية سمراء تسمى

=

كانت تشرب الخمر في الطرقات علانية. في حين يرى آخرون أن هذه الأفعال لم تكن شائعة للدرجة التي تجعل الحاكم يتخذ هذه القرارات العنيفة والمقيدة لحرية المرأة ، وأنه لم يفرق في قرارته بين المرأة التي اتخذت اللهو سبيلا، وبين النساء العفيفات. للمزيد راجع، محمد عبد الله عنان: الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، عام ١٩٨٣م، ص١٧٢ وما بعدها، نريمان عبد الكريم: المرأة في العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، عام ١٩٩٢م، ص٧١ وما بعدها، مها عبد الله الشرقي: موقف الخليفة الحاكم بأمر الله من النساء، بحث منشور بمجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، العدد١، مجلد ٤٤، عام٢٠١٩م، ص٣٠٩.

(١) ابن الجوزي: المنتظم ، ج ٧، ص٢٦٨، المقريزي: اتعاظ الحنفاء ، ج٢، ص١٢٠، آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ص ١٤٣.

(٢) محمد بن رائق، من الدهاة الشجعان. كان أبوه من مماليك المعتضد العباسي، وولي شرطة بغداد للمقتدر سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م، ثم إمارة واسط والبصرة. وولاه الخليفة الراضي إمارة الأمراء والخراج ببغداد سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م. توفي عام ٣٣٠هـ/٩٤١م. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٧، ص٥٩٥، الزركلي: الأعلام، ج٦، ص١٢٣.

شيرين، كانت معروفة بحمال صوتها بثلاثة عشر ألف دينار وأعطى من دلَّه عليها ألف دينار؛ حتى إن الناس استعظموا عليهم دفع الأمير هذا الثمن في جارية(١).

ولم تكن الجارية ذات الصوت الحسن هي من تتمتع فقط بالمكانة لدى فئات المجتمع، بل كان التجار المتخصصون في بيع الجواري يتمتعون أيضا بالمكانة؛ نظرًا لامتلاكهم جواري بهذه السمة، فكان بيته مقصدًا للشعراء والتجار والأثرياء يتلمسون رضاهم وشراء هؤلاء الجواري(٢)، وقد عبر الجاحظ عن مدى المكانة التي وصل إليها هؤلاء التجار بفضل امتلاكهم لهذا النوع من الجواري بقوله: « فكان الناس يقصدون رحالهم بالرغبة كما يقصد الخلفاء والعظماء، فيزار ولا يكلف الزيارة، ويقضى له ولا تقضى منه الهدية، وتبيت العيون ساهرة، والقلوب واجفة، والأكباد متصدعة، والأماني واقفة على ما تحويه ملكه وتتضمنه يده... فيرسلون إلى بيت مالكها بصنوف الهدايا من الأطعمة والأشربة، فإذا جاءوا حصلوا على النظر وانصرفوا بالحسرة»(٣).

وقد بلغت بعض الجواري مكانة كبيرة لدى كثير من الأغنياء، حتى إنهن في بعض الأحيان كان لهن جوارٍ أقل منهن منزلة يخدمونهم ويجلسون حولهم، فقد نقل آدم متز أن رجلا من أغنياء مصر كان له جارية تجلس في شباك بيته وحولها عدد كبير من الجواري في أيديهن المذبات(٤) يروحن بها(٥).

---

(١) الصولي: الأوراق، ج٢، ص١٠١، ابن الجوزي: المنتظم ، ج٦، ص٣٩١، آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص ٢٦٦.

(٢) آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص ٢٦٦.

(٣)"عمرو بن بحر بن محبوب، ت: ٢٥٥هـ/٨٦٨" رسائل الجاحظ، تحقيق، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، د.ت، ج٢، ص١٧٧.

(٤) المذبات: هي ما يستخدم لدفع الذباب وهي تشبه المراوح التي تمسكها النساء في أيديهن حاليا. رينهارت بيتر آن دُوزِي: تكملة المعاجم العربية، ترجمه، محمد سليم النعيمي، وجمال خياط، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ط١، عام١٩٧٩م، ٥، ص١٠.

(٥) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص ٢٧٥.

وقد تناول متز الحياة الزوجية للمرأة، وذكر أنه رغم إباحة الشرع الزواج من أكثر من امرأة إلا أن الرجل كان يفضل الاكتفاء بزوجة واحدة[١]، وخاصة المرأة البكر التي لم تتزوج قبل ذلك، أما زواج الأرامل فكان غير محبذ، بل كان يعد زواج الأرملة سببا للتعزية بدلا من التهنئة، فذكر أنه في عهد الخليفة العباسي المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ/ ٨٣٣-٨٤١م) [٢] امتحن أحد المسؤولين عن تعيين الكُتَّاب كاتبا فقال له: إن كان لك صديق قد تزوجت أمه كيف تكتب إليه تهنئةً أو تعزيةً؟ قلت: هو والله إلى التعزية أقرب. قال: فكيف تعزيه؟ قلت: لا أجد إلى ذلك سبيلاً[٣].

كما كتب أبو بكر الخوارزمي(المتوفى٤٠٣هـ/١٠١٢م) إلى المؤرخ ابن مسكويه (المتوفى ٤٢١هـ/١٠٣٠م) يعزيه بعد أن علم بأن أمه قد تزوجت، والعجيب أنه دعا الله أن يتوفاها قائلا له: وقد كنت أسأل الله –تعالى– أن يبارك لك في حياتها، والآن أسأله أن يعجل لك بوفاتها! [٤].

(١) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ص ١٤٦.

(٢) محمد بن هارون الرشيد بن المهدي، أبو إسحاق الهاشمي العباسي. ولد عام ١٨٠هـ/٧٩٣م. تولى الخلافة بعد أخيه المأمون عام ٢١٨هـ/٨٣٣م وظل بها حتى توفي عام ٢٢٧هـ/ ٨٤١م. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٥، ص٦٩٢، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢٤٣.

(٣) البيهقي" إبراهيم بن محمد البيهقي، ت:بعد عام٣٢٠هـ/٩٣٢م" المحاسن والمساوئ، تحقيق، عدنان علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، د.ت، ص٣٠٧، النَّحَّاس "أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، ت: ٣٣٨هـ/٩٣٩م" عمدة الكتاب، تحقيق، بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، عام ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٤١، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ص ١٤٦.

(٤) رسائل الخوارزمي، ص ١٧٣. وأيضا، آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ص ١٤٧؛ ١٤٨.

ويرى الباحث أن ما ذكره آدم متز عن أن العرف قد حرم ومنع زواج الأرامل هو أمر مستغرب؛ لأن ما حدث في المجتمع عبر التاريخ الإسلامي يخالف ذلك تمامًا، فلم يثبت للباحث– في حد علمه– أن العرف قد منع الزواج من الأرامل بل على العكس، فعبر التاريخ الإسلامي منذ عهد النبيﷺ قد حدث الزواج من نساء أرامل ولم يذكر أحد أن العرف منع ذلك. أما عن الروايتين السابقتين فإنه يعد مبالغة وحالات شاذة ومخالفة للشريعة التي أباحت الزواج من المطلقات والأرامل، وكما هو معروف أن الشاذ لا يقاس عليه ولا يعد سمة عامة.

وكانت العلاقة بين الزوجين– كما حال العلاقات الزوجية في كل مكان وزمان– تختلف بين العلاقات السلبية القائمة على المعاملة السيئة من المرأة تجاه زوجها، أو حبها الشديد له، وكذلك حب الرجل لزوجته والثناء عليها.

أما عن سوء معاملة المرأة لزوجها، فقد ذُكر أن رجلا من الصوفية كان متزوجا من امرأة سيئة الخلق وكانت تعامله معاملة سيئة، وأنها اعطته درهمين من عملها لشراء الدقيق، وفي أثناء خروجه التقى بجارية تبكي بعد أن ضاع منها درهمين لسيدها فأعطاها الدرهمين، وعندما خاف من العودة لزوجته دون شراء الدقيق ذهب لنجار ومَلَأ جرابه نشارة خشاب وعاد للبيت ووضعه خلف الباب، وذهب للمسجد مسرعًا خوفًا من سوء خلق زوجته، وعندما عاد ليلا وجدهم يصنعون خبزًا، فسألهم من أين تصنعون الخبز؟ قالوا: من الذي اشتريته، فلا تشترِ غير هذا الدقيق مرة أخرى فإنه دقيق جيد. قال: أفعل إن شاء الله تعالى. وهكذا لم ينقذه من سوء خلق زوجته إلا كرمه مع الجارية[1].

(١) القشيري" عبد الكريم ابن هوازن بن عبد الملك، ت: ٤٦٥هـ/١٠٧٢م" الرسالة القشيرية، تحقيق، عبد الحليم محمود، ومحمود الشريف، دار المعارف، القاهرة، ط١، د.ت، ج٢، ص٥٤٣، آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ص ٢٦.

ورغم الغرابة في هذه القصة وغلبة الغلو –في نظر الناس، والله على كل شيء قدير– في نزعة التصوف عليها– كتحول نشارة الخشب إلى دقيق–، فإن الشاهد منها ما كان من المعاملة السيئة من هذه المرأة لزوجها.

ومع ذلك كان بعض الرجال مغرمين بحب زوجاتهم والتغزل فيهم، فقد ورد أن تاجرًا من بغداد وجد صديقا قديما له فدعاه لتناول الطعام في بيته، وطوال الطريق للمنزل أخذ يصف له مدى حبه لزوجته وحبها له، ومدى مهارتها ورونقها في إعداد طعامها، فقال: « لو رأيتها، والخرقة في وسطها، وهي تدور في الدار، من التّنّور إلى القدور ومن القدور إلى التّنّور، تنفث بفمها النّار، وتدقّ بيديها الأبزار[١]، ولو رأيت الدّخان وقد غبّر في ذلك الوجه الجميل، وأثّر في ذلك الخدّ الصّقيل، لرأيت منظرا تحار فيه العيون، وأنا أعشقها لأنّها تعشقني، ومن سعادة المرء، أن يرزق المساعدة من حليلته، وأن يسعد بظعينته[٢]»[٣].

وكان للمرأة –أيضا– دور في مجال العلم والتصوف، فكان النساء يستمعن إلى إنشاد الصوفية من فوق أسطح المنازل[٤]، وبرز منهن بعض النساء العالمات اللائي كان لهن حلقات علمية يحرص طلاب العلم على حضورها؛ مثل

(١) الأبزار: ما يوضع علي الطعام ليطيب أكله مثل الملح والتوابل ونحوها. الزبيدي" محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، ت: ١٢٠٥هـ /١٧٩٠م" تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، بيروت، ط١، عام ١٤١٤هـ، ج٦، ص٧٦.

(٢) هي المرأة وسميت بذلك لأنها تظعن مع زوجها وتقيم بإقامته. ابن منظور: لسان العرب، ج١٣، ص٢٧١(مادة ظعن).

(٣) الهمذاني" أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى، بديع الزمان الهمذاني، ت: ٣٩٨هـ/١٠٠٧م" مقامات بديع الزمان الهمذاني، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة الأزهرية، القاهرة، ط١، عام ١٩٢٣م، ص١١٨، آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ص ١٤٦.

(٤) آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ص ٢٣.

السيدة ستيتة التي كانت تُكنى بأمة الواحد[١]، وكانت من أحفظ الناس للفقه على مذهب الشافعي، كما كان يقصدها الناس للفتيا، وطلاب العلم لأخذ الحديث عنها[٢].

وكذلك السيدة أمة السلام التي كانت تُكني بأم الفتح[٣] فقد أخذ عنها الكثير من العلماء، وكانت موصوفة بأنها من أهل العلم والفضل والدين[٤].

وقبل أن نختم الحديث عن صورة المرأة عند آدم متز لا بد من الحديث عن موضوع تناوله متز، وهو دور المرأة في البغاء والأعمال المنافية للشريعة الإسلامية والآداب العامة.

فرغم أن البغاء من الأعمال المحرمة في جميع الأديان السماوية، فإنه من الأمور التي كانت منتشرة في جميع الحضارات والمجتمعات حتى قيل: إنه كالقدر يلازم البشرية ولا سبيل للخلاص منه ما بقيت هذه البشرية[٥].

---

(١) ستيتة بنت القاضي أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي، تفقهت بأبيها، وروت: عنه، وعن إسماعيل الوراق، وعبد الغافر الحمصي وغيرهما. توفيت عام٣٧٧هـ/٩٨٧م.الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج١٦، ص٦٣٢، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص٢٦٤ .

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج١٦، ص٦٣٢، آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ص ١٤٥.

(٣) أمة السلام بنت القاضي أبي بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة، وتكنى أم الفتح. سمعت: محمد بن إسماعيل البصلاني، ومحمد بن الحسين بن حميد بن الربيع. وروى عنها التنوخي، وأبو خازم، وأبو يعلى محمد بن الفراء. توفيت عام ٣٩٠هـ/٩٩٩م. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٦، ص٦٣٣، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٨، ص٦٥٨.

(٤) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج١٦، ص٦٣٣، آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ص ١٤٥؛١٤٦.

(٥) نجيب إسحاق عبد الله محمد: سيكولوجية البغاء" دارسة نظرية وميدانية"، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، عام ١٩٨٤م، ص٣٨.

وقد تعددت العوامل التي دفعت المرأة إلى هذه الجريمة–غير أنها ليست مبررا لارتكابها، فهي من وجهة نظر مرتكبيها– التي تخالف تعاليم الإسلام وجميع الأديان والفطرة السليمة للإنسان، ما بين عوامل اقتصادية مثل الفقر الذي يعد السبب الأقوى والدافع الأول لممارسة هذه الجريمة، إلا أن زيادة الترف والرفاهية والبذخ –أيضا– كان سببًا آخر لها. وكذلك العوامل الاجتماعية كالتفكك الأسرى وسوء التنشئة وانحطاط القيم والأخلاق، والعوامل النفسية كفقدان الحب والشعور بالأمان الذي يجعل المرأة تتجه إلي البغاء لتحصل ما تفتقده في محيط أسرتها(١).

أما إذا انتقلنا إلى المجتمع الإسلامي فسوف نلاحظ أن هذه الظاهرة لم تكن منتشرة في المجتمع

الإسلامي خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة النبوية، وكذلك خلال الفترة الأولى من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، فالسيرافي الذي عاش مع بداية هذا القرن (المتوفى ٣٣٠هـ /٩٤١م) يذكر أن الزنا والبغاء لم يكن منتشرًا في البلاد الإسلامية، فعند زيارته لبلاد الصين يصف أن البغايا كان لهن ديوان خاص بهن، وعليهن ضريبة مخصصة لذلك، ثم يعلق على ما شاهده بقوله: «ونحن نحمد الله على ما طهّرنا به من هذه الفتن»(٢).

(١) للمزيد عن تفصيل هذه العوامل راجع، أحمد فائق: الأمراض النفسية الاجتماعية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١، عام٢٠٠١م، ص٣٦٢، نجيب إسحاق: سيكولوجية البغاء، ص٥٠–٦٢.

(٢) "أبو زيد حسن بن يزيد السيرافي" رحلة السيرافي، نشر المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، ط١، عام ١٩٩٩م، ص٥٧، وأيضا، آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ص١٤١.

إلا أنه ومع مرور سنوات القرن الرابع الهجري بدأت هذه الظاهرة في الانتشار في المجتمع الإسلامي، فالمقدسي وهو من جغرافي القرن الرابع الهجري(المتوفى٣٨٠هـ/٩٩٠م) عند حدثيه عن المدن الواقعة في شرق العالم الإسلامي، خاصة بلاد فارس وصفها بأن الفسق والمنكرات بها ظاهرة، خاصة خوزستان[١] التي وصف انتشار دور الزنا بها فقال: «ثم ترى دور الزنا عند أبواب الجامع ظاهرة»[٢].

كما وصف مدينة شيراز[٣] بأنها بلاد يتنشر بها الفسق والفجور والراقصات والقُحاب[٤]، وأن دور الزنا بها ظاهرة[٥].

(١) هي بلاد يحدها شرقًا بلاد فارس؛ وجنوبًا الخليج العربي وجزء من حدود العراق؛ وغربًا أجزاء من العراق ومعظم بغداد وواسط؛ وشمالًا مدن بلاد الجبال. وهي بلاد عامرة وأكثر نعمة من كل البلاد المتصلة بها. وفيها أنهار عظيمة ومياه جارية (مجهول، توفى: بعد ٣٧٢هـ/٩٨٢م" حدود العالم من المشرق إلى المغرب، محقق ومترجم الكتاب عن الفارسية، السيد يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة ، ط١، عام١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص١٤٩). تقع في دولة إيران حاليا. يحيى شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، عام ١٩٩٣م، ص٢٥٨.

(٢) "أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري" أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣، عام١٤١١هـ/١٩٩١م، ص٤٠٧، وأيضا، آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ص١٤٢.

(٣) بالكسر، وآخره زاي: بلد عظيم مشهور معروفة ومذكورة، وهو قصبة بلاد فارس. وهي مما استجدّ عمارتها في الإسلام، فقيل: أول من تولى عمارتها محمد بن القاسم بن أبي عقيل ابن عمّ الحجّاج. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٣٨٠). تقع حاليا في جنوب غرب إيران. يحيى شامي: موسوعة المدن، ص٢٦٨.

(٤) جمع قحبة، والقحبة في الأصل يطلق على مرض السعال(الكحة)، ثم أصبح يطلق على المرأة البغي والعاهرة ؛ وذلك لأن المرأة البغي في الجاهلية كانت إذا أردت أن تعرف الرجال بذلك كانت تسعل أو تتنحنح لتجذبهم إليها. ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٦٦٢(مادة قحب).

(٥) أحسن التقاسيم ، ص٤٢٩.

ونتيجة لوجود هذه الظاهرة بصورة كبيرة في بلاد فارس فقد أراد بعض الحكام استغلالها لتوفير بعض الأموال منها، أو حماية الناس من هذه الدور التي يتجمع بها البغايا: مثل عضد الدولة البويهي[١] الذي فرض ضريبة معلومة على الراقصات والقحاب[٢]، فالبيروني عندما تحدث عن فرض ملوك الهند ضريبة على المغنيات والراقصات، يقول:« وهكذا كان عمل عضد الدولة، وأضاف اليه حماية الرعيّة عن عزاب الجند»[٣].

ولم تكن هذه الظاهرة منتشرة فقط في بلاد فارس فقط بل كانت موجودة – أيضا–في بلاد الشام، فمدينة اللاذقية[٤] كانت مركزًا لظاهرة البغاء، حتى إن بعض المصادر ذكرت أن من عجائبها أن المحتسب يجمع النساء المخصصين لهذه الفاحشة في حلقة، ثم يأتي الرجال والغرباء المؤْثِرين للفساد من الروم وغيرهم، فمن أعجبته واحدة وأراد أخذها إلى أحد الفنادق المخصصة لسكني

(١) فناخسرو بن حسن بن بويه الديلمي المُكني بأبي شجاع. ولد بأصبهان عام٣٢٤هـ/ ٩٣٦م، تولى حكم البويهيين بعد وفاة عمه عماد الدولة عام ٣٦٦هـ/٩٧٦م استطاع توسيع حكم البويهيين حتى فرض سيطرته على بلاد فارس والعراق. توفي عام٣٧٢هـ/٩٨٢م. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤، ص٥٠، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٢٤٩.

(٢) آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ص١٤١، حسن منيمنة: تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، الدر الجامعية للمطبوعات، د.ط، عام ١٩٨٧م، ص٢٩١.

(٣) "أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي، ت:٤٤٠هـ/١٠٤٨م" تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، عالم الكتب، بيروت، ط٢، عام ١٤٠٣هـ، ص٤٣٠.

(٤) بالذال المعجمة المكسورة، وقاف مكسورة، وياء مشددة: مدينة في ساحل بحر الشام. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٥). تقع حاليا في دولة سوريا وهي من أكبر المدن على ساحل البحر الأبيض المتوسط. يحيى شامي: موسوعة المدن، ص٦٣.

الغربـاء عـن المدينـة لممارسـة الفاحشـة أعطـاهم المحتسـب خاتمًـا يسـمى خـاتم المطران كحجّة معهم

علـى هذا العمل، وإذا وجد رجلًا مـع باغية وليس معه هذا الخاتم تعرض للعقاب والجناية(١).

كما كان البغاء وممارسة الفواحش –أيضا– موجودا في مصر في أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي(٢) بصورة كبيرة حتى أصبح لهذه الظاهرة سماسرة يتفننون في ترويج بضائعهم(٣)، ونتيجة لوجود البغاء قام الفاطميون بالتعامل مع البغاء على أنه حرفة تفرض عليه ضرائب كسائر التجارات(٤).

أمـا فـي بـلاد المغـرب فلـم تكـن هـذه الظـاهرة موجـودة بالصـورة التـي توجد بغيرها من البلدان، فابن حوقل وهو من جغرافي الرابع الهجري (المتوفى بعد ٣٦٧هـ/٩٧٧م) يصف بلاد المغرب بقوله: « وليس في بلدانهم

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٦، القفطي" جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، ت: ٦٤٦هـ /١٢٦٥م" إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام ٢٠٠٥م، ص٢٢٤، آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ص١٤٢.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٢٠٠، آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ص١٤٢.

(٣) آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ص١٤٢. وأيضا، إبراهيم رزق أيوب: التاريخ الفاطمي الاجتماعي، نشر الشركة العالمية، للكتاب، لبنان، ط١، عام ١٩٩٧، ص١٢٨، تيسير محمد شادي: الفساد في الدولة الفاطمية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط١، د.ت، ص٢٩٧.

(٤) المقريزي" أحمد بن علي بن عبد القادر، تقي الدين، ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م" المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١، ١٤١٨هـ، ج١، ص١٦٨، آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ص١٤٢.

من الفواحش الظاهرة وتعاطي الأمور المنكرة ... والفسق الشنيع ما بكثير من المواضع»[١].

ولكن ما الأسباب التي دعت لوجود هذه الرزيلة المخالفة لتعاليم الأديان السماوية والطبيعة البشرية؟ في الحقيقة تعددت الأسباب واختلفت من مكان لآخر، ففي بلاد فارس كان تأثير العادات والتقاليد الفارسية القديمة ما يزال موجودا عند كثير من سكان هذه المناطق، بجانب ضعف دور العلماء ورجال الدين في النصح والإرشاد، وانصراف بعضهم إلى حياة اللهو، مما انعكس بدوره على المجتمع الذي سمح بوجود طائفة من الرجال والنساء الذين يُقْبِلون على ممارسة البغاء[٢].

كذا كان الحال –أيضا–في بلاد الشام خاصة البلاد القريبة من الحدود مع دولة الروم البيزنطية مثل مدينة اللاذقية، فقد كان لا يزال أهلها –أيضا–متأثرين ببعض العادات والتقاليد البيزنطية، ووجود طائفة كبيرة من الروم بها الذين كانوا الأكثر إقبالا على ممارسة هذه الفاحشة، مما جعلها سوقًا رائجًا لهذه الرزيلة[٣].

أما إذا انتقلنا لمصر فإن الأوضاع الاقتصادية كانت هي العامل الأكثر تأثيرا في وجود ظاهرة البغاء من جانب المرأة، فكانت حياة الرفاهية التي عاشتها المرأة المصرية في أواخر القرن الرابع الهجري سببًا في اتجه بعضهن إلى الفسق وشرب الخمر، والخروج بملابس شبه عارية، والاختلاط بصورة سيئة بالرجال[٤]،

(١) "محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، أبو القاسم، ت: بعد ٣٦٧هـ/٩٧٧م" صورة الأرض ، دار صادر، بيروت، د. ط، عام ١٩٣٨م، ج١، ص٩٨، وأيضا، آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ص١٤٢.

(٢) حسن منيمنة: تاريخ الدولة البويهية ، ص٢٩٣.

(٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٦، القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص٢٢٤.

(٤) إبراهيم رزق أيوب: التاريخ الفاطمي الاجتماعي، ص١٢٨، تيسير محمد شادي: الفساد في الدولة الفاطمية، ص٢٩٧.

ويذكر المقريزي مثالا على ذلك أنه في عام ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م وفي أثناء أحد الاحتفالات اختلط المسلمون والنصارى من النساء والرجال وشرب الجميع الخمر بكثرة، حتى إن النساء وضعن في قفاف الحمالين من شدة السكر [١].

ولم تكن الرفاهية فقط هي السبب في ذلك ولكن كان الفقر والحاجة في بعض الأوقات؛ نتيجة للأزمات الاقتصادية التي كانت تحدث من وقت لآخر سببا قويا لبحث المرأة عن مصدر للمال؛ فكثر خروج النساء بدون إذن أزواجهن واتجه بعضهن سرا إلى البيوت المخصصة لهذه الفاحشة مقابل المال[٢]؛ حتى إنه شك بعض الأزواج في نسب أولادهن فكثرت القضايا التي كان يرفعها الرجال لإثبات صحة أبنائهن، وكان القضاة يتحرون الدقة في تلك القضايا فيقومون بالملاعنة[٣] بين الزوجين لإثبات صحة نسب أولادهم، فإذا ثبت براءة الزوجة حملوا الزوج وطافوا به الأسواق تشهيرًا بهم وهم يقولون: هذا جزاء من يجحد ولده[٤].

---

(١) اتعاظ الحنفاء، ج٢، ص١٣٧.

(٢) نريمان عبد الكريم: المرأة في العصر الفاطمي، ص١٠١، تيسير محمد شادي: الفساد في الدولة الفاطمية، ص٢٩٧.

(٣) يحدث اللعان أو الملاعنة عندما يتهم الزوج زوجته بالزنا بدون أن يأتي بأربعة شهود على وقوع الزنا، ففي هذه الحالة يطلب منه القاضي أن يحلف أربع مرات بدل الشهود الأربعة أنه من الصادقين في دعواه ضدّ زوجته، ثم يحلف مرة خامسة بأن يقول: لعنة الله عليّ إن كنت من الكاذبين أي: فيما اتهم زوجته به من الزنا. وبالنسبة للمرأة التي تريد أن تدرأ عن نفسها حد الزنا أن تحلف أربع مرات بدل الشهود الأربعة أنه من الكاذبين فيما اتهمها به، وفي الخامسة تؤكد بأن غضب الله عليها وسخطه إن كان زوجها صادقا فيما اتهمها به. ابن هبيرة "يحيى بن هُبَيْرَة بن محمد الذهلي الشيبانيّ، ت: ٥٦٠هـ/١١٦٤م" اختلاف الأئمة العلماء، تحقيق، السيد يوسف أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام ٢٠٠٢م، ج٢، ص١٩١.

(٤) ابن حجر: رفع الإصر عن قضاة مصر، ص ١٤٣، ص٣٣٠.

ونتيجة لهذه الأفعال التي كانت تقوم بها بعض النساء قام بعض الحكام منذ أواخر القرن الرابع الهجري باتخاذ مجموعة من الإجراءات؛ لتقييد المرأة ومحاولة منعها من القيام بهذا الأعمال المنافية للآداب العامة مثل القرارات التي اتخذها الحاكم بأمر الله(٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م) والتي سبق الحديث عنها خلال هذا المبحث.

المبحث الثالث: آدم متز ومنظوره عن المرأة في كتابه الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري في الميزان.

إن القارئ المتفحص لكتاب(الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري– كما سماه محمد عبد الهادي أبو ريدة– أو نهضة الإسلام– هو الاسم الذي وضعه مؤلف الكتاب– كما سبق الحديث عن ذلك في تمهيد هذا البحث– سوف يلاحظ القيمة الكبيرة لهذا الكتاب ، إلا إنه عند حديثه عن المرأة المسلمة في الكتاب سوف يجد القارئ عددا من الملاحظات التي يمكن إجمالها في الآتي:

أولا: أن الكاتب عمل على إبراز الجوانب السلبية للمرأة في الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري– ورغم أن الباحث في التاريخ الإسلامي لا ينكر وجود العديد من السلبيات التي حدثت من جانب النساء– فإن متز قد أفاض في التركيز على هذه الجوانب بصورة كبيرة، خاصة عند الحديث عن الدور السلبي لأمهات الخلفاء وزوجاتهم، فقد وصفهن بالسيدات الجشعات الراغبات في السيطرة على أبنائهن أو أزواجهن، مثل الخيزران زوجة الخليفة المهدي، وشغب أم المقتدر.

وكذلك عند الحديث عن جواري القصر ودورهن في السيطرة على الخلفاء، وجعلهم ألعوبة في أيديهن يُوَلِّينهم في الوقت يريدون أو يعزلنهم بدسائسهم حين يرغبون، ومثل الدور الذي لعبته الجارية حُسن حين عزلت الخليفة المتقي، وجلعت مكانة في الخلافة المستكفي بحيلة استطاعت من خلالها خداع كبار رجال الدولة.

كما ركز بصورة كبيرة على دور المرأة في البغاء؛ فذكر كثيرا من أقوال الجغرافيين والرحالة عن هذه الصورة السلبية في المجتمع الإسلامي، كما أفاض في ذكر أمثلة عن مدن كان النساء والجواري يقمن بهذه الرزيلة المنافية للشريعة الإسلامية.

ورغم أن الباحث في التاريخ لا ينكر حدوث هذه الأعمال من جانب نساء الخلفاء أو جواريهم، أو وجود ظاهرة البغاء في المجتمع، فإن ما يؤخذ على الكاتب أنه أفاض وركز بصورة كبيرة على هذه الجوانب السلبية.

ثانيا: أن ما يدعو القارئ للشك في أن متز كان يريد – بعمد أو عن غير قصد– الإساءة للمرأة المسلمة، أن القرن الرابع الهجري يعد من الفترات المهمة في التطور العلمي والاقتصادي في جميع المجالات الحضارية، والذي ظهر فيه العديد من النساء اللائي بلغن درجة كبيرة من التطور خاصة العلمي، إلا أن آدم متز ركز على الجانب السلبي فقط، ولم يهتم بنفس القدر بالحديث عن الدور الإيجابي للمرأة في المجال الاقتصادي أو العلمي، أو في مجال البناء والمنشآت، فالمطالع لكتاب الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، يلاحظ أن متز لم يذكر لدور المرأة الاقتصادي سوى مثالًا واحد للمرأة المصرية وهى تعمل بصناعة النسيج(١)، ومثالين فقط لدورها العلمي(٢).

ولكنه أهمل بصورة كليه دورها في المنشآت؛ فعند حديثه مثلا عن السيدة شغب أم الخليفة المقتدر أبزر فقط الجانب السلبي لها، ووصفها بأنها إمرأه جشعة لا تهتم سوى بالسيطرة والقتل والتولية والعزل فقط ، مهملا تماما دورها الكبير في إنشاء العديد من المنشآت في بغداد ومكة والمدينة(٣).

ثالثا: رغم أن «متز» عند حديثه عن المرأة قد اعتمد على عدد كبير ومتنوع من المصادر العربية، فإنه في نقله لبعض الحوادث كان يعتمد على

(١) ج٢، ص٢٩٨.

(٢) ج٢، ص١٤٥؛١٤٦.

(٣) عن هذه المنشآت راجع، مصطفى جواد: سيدات البلاط العباسي، ص ٨٩، سولاف فيض الله: دور الجواري والقهرمانات في دار الخلافة العباسية، ص ٣٦، تيسير محمد شادي: النساء في عهد الخليفة المقتدر العباسي (شغب أنموذجا)، ص٢٣٠.

مصدر واحد في هذه الحادثة، فمثلا عند حديثه عن ما فعلته السيدة شغب من كشفها لثديها أمام الحاضرين لمنع ابنها المقتدر من الخروج لقتال مؤنس الخادم، فهذه الحادثة لم ترد – في حد علم الباحث كما سبق الحديث عن ذلك خلال المبحث الأول – إلا عند عريب القرطبي في كتابه: صلة تاريخ الطبري.

وكذلك الاعتماد على الروايات الضعيفة التي وردت في المصادر التاريخية، مثل حديثه عن اهتمام الخليفة الأمين بالخصيان وتقريبه لهم ، للدرجة التي اتهم فيهم بالفاحشة، فقد نقلها عن الطبري وهذه الرواية قد ذكر الباحثون أدلة على ضعفها، وكذلك ظاهرة الغلاميات التي كانت في عهد الأمين –أيضا– ورغم تفرد المسعودي بها، إلا أن آدم متز نقلها على أنها حقيقة واقعة وأمر مسلم به.

كما أنه اعتمد وبصورة كبيرة للغاية على المصادر الخاصة بالأدب العربي، مثل كتب الجاحظ (المتوفى ٢٥٥هـ/٨٦٨)، وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي(المتوفى ٣٢٨هـ /٩٣٩م)، وكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني(المتوفى ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)، وكتاب عمدة الكتاب للنَّحَّاس (المتوفى ٣٣٨هـ/٩٣٩م) وهي مصادر لا تهتم بتحقيق صحة الحوادث التاريخية بقدر أنها تهتم بذكر الحوادث التي تعتمد على التسلية لجذب القارئ[١].

رابعا: حاول آدم متز تعميم الأحداث الخاصة بالمرأة بفترة معينة أو مكان معين وجعلها سمة عامة للمرأة المسلمة، مثل حديثه عن البغاء الذي جعله سمة غالبة علي النساء المسلمات، رغم أنها كانت حوادث فردية أو قاصرة على فترة معينة أو مكان معين، فإنه يمكن القول: إن «متز» قد حاول جعله صورة عامة للمرأة المسلمة والمجتمع المسلم.

(١) سيده إسماعيل كاشف: مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، دار الرائد العربي - بيروت، د.ط ،عام ١٩٨٣م، ص٩٨.

وكذلك زواج الأرامل، فرغم أن الزواج منهن كان مباحًا بمقتضى الشريعة الإسلامية والعرف في المجتمع، إلا إن آدم متز عَدَّ رفض الزواج منهن ظاهرة يرفضها العرف وتأباها العادات والتقاليد، وعَدَّ ما ذُكر عن الخوارزمي في تعزيته لابن مسكويه عندما تزوجت والدته، ظاهرة وليست أمرًا شاذا.

خامسا: لم يكن آدم متز متحريا الدقة عند نقله للأحداث التاريخية، فقد وقع في بعض الأخطاء عند ذكره للحوادث التاريخية سواء في ذكر تاريخ حدوثها، مثل القصة التي ذكرها عن استيلاء القاضي عبد الحاكم بن سعيد على أموال الفتاة التي مات عنها أبوها، فقد ذكرها «متز» في أحداث عام ٣٤٠ هـ/١٠٣٩م، بينما الصحيح أنها حدثت عام ٤٢٣ هـ/١٠٣١م.

وكذلك ذكره أن جميع خلفاء القرن الرابع الهجري كان أمهاتهم صقلبيات في حين – كما سيرد في القائمة الموجود بملاحق البحث– أنهن كن روميات أو مغربيات أو فارسيات، أو مجهولات الأصل.

الخاتمة ونتائج البحث.

*رغم أن ألمانيا لم تكن هي الدولة الأوربية الأولى في الدخول إلى ميدان الدراسات الاستشراقية، فقد سبقتها فرنسا وانجلترا وهولندا، إلا أن الاستشراق الألماني لم يخضع منذ بدايته لغايات استعمارية أو سياسية كالاستشراق في بلدان أوربية أخرى، فلم تغلب الأهداف الاستعمارية على المستشرقين الألمان، بل ظلوا محافظين على التجرد والروح العلمية على الأغلب. كما أن دراساتهم عن العرب والمسلمين لم تكن متصفة – نوعا ما – بروح عدائية، ما عدا عدد قليل منهم الذين جاءوا بآراء خاطئة عن الإسلام والمسلمين.

* رغم أن آدم متز مثل غيره من كبار المستشرقين الألمان الذين كانت اهتماماتهم مرتكزة على دراسة اللغة العربية والأدب العربي، فإنه لم يهمل الاهتمام بالتاريخ والحضارة الإسلامية، فوضع كتابه نهضة الإسلام الذي تحدث فيه عن العديد من جوانب الحضارة.

* لم يلتزم آدم متز في كتابه بالحديث عن المرأة في القرن الرابع الهجري، بل نلاحظ أن ذكر بعض الحوادث التي حدثت خارج الفترة التاريخية التي يشتمل عليها الكتاب، مثل حديثة عن الدور الذي لعبته الخيزران بنت عطاء(توفيت عام ١٧٣هـ/٧٨٩م) في حياة زوجها الخلفية المهدي، والسيدة زبيدة بنت جعفر(توفيت عام ٢١٦هـ/٨٣١م) زوجة هارون الرشيد ووالدة ابنه الخليفة محمد الأمين.

* لعبت المرأة دورًا مهمًا في حياة الخلفاء بكونها أما للخليفة أو زوجة له، فقد استطاعت النساء بسبب سيطرتهن على أزواجهن أو أبنائهن من تغيير الأوامر التي كانت تصدر منهن تارة، أو العمل على رفع مكانة أقاربهن وجعلهم قربين من الخليفة ، أو توليهم مناصب داخل الدولة تارة أخرى، مثل الخيزران وزبيدة والسيدة شغب والدة الخليفة المقتدر.

* أن بعض نساء قصر الخلافة من زوجات الخلفاء أو أمهاتهم، كن بسبب رغبتهن في التسلط والسيطرة سببًا في حدوث كثير من الأزمات والمنازعات في دار الخلافة، وخاصة السيدة شغب– ناعم– والدة الخليفة المقتدر؛ لذلك حرص كبار رجال عند اختيارهم للخلفاء عقب هذه الفترة أن يختاروا خلفاء لا أم لهم ؛ رجاء أن تستقيم الأمور.
* برز من خلال الدراسة مدى التقدم الذي حصل عليه الجواري والقهرمانات في قصور الخلفاء العباسيين، ومدى الدور السلبي الذي قمن به؛ حيث كن سببًا قويا للتدهور السياسي الذي حدث للخلافة العباسية خلال القرن الرابع الهجري.
* حاول آدم متز تعميم الأحداث الخاصة بالمرأة بفترة معينة أو مكان معين وجعلها سمة عامة للمرأة المسلمة، مثل حديثه عن البغاء الذي جعله سمة غالبة علي النساء المسلمات، رغم أنها كانت حوادث فردية أو قاصرة على فترة معينة أو مكان معين. وكذلك عند الحديث عن زواج الأرامل وأنه كان عادة مذمومة في المجتمع المسلم.
* أن المرأة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي– ورغم السلبيات التي أحدثتها – كان لها دور ايجابي في المجتمع المسلم خاصة في الدور العلمي، فقد برز منهن العديد من العالمات اللاتي برعن في علوم الفقه والحديث والتفسير مثل السيدة ستيتة، التي كانت تُكنى بأمة الواحد، وكذلك السيدة أمة السلام التي كانت تُكنى بأم الفتح.

ملاحق البحث

ملحق رقم (١)

ثَبْتٌ بأشهر المستشرقين الألمان منذ القرن السابع عشر وحتى نهاية القرن العشرين(١)

م	الاسم	الوفاة	م	الاسم	الوفاة
١	جوهان إليشمان Johan Alichmann	١٦٤٠م	٣٢	تيودور نولدكة Theodor Noldeke	١٩٣١م
٢	جرمانوس Germanus	١٦٧٠م	٣٣	جوتهلف برجشتريسر Gotthelf Bergstraber	١٩٣٣م
٣	جوهان جاكوب رايسكة Johan Jacob Raiske	١٧٧٤م	٣٤	كارل هينرش Carl Henrich	١٩٣٣م
٤	جوهان ميخائليس Johan Michaelis	١٧٩١م	٣٥	هرتفيك هرشفلد Hartwig Hirschfeld	١٩٣٤م
٥	أولريش ياسبر زيتسن Ulrich Jasper Seetzen	١٨١١م	٣٦	وتو بردنهيفر Otto Bardenhewer	١٩٣٥م
٦	كريستيان	١٨٣٩م	٣٧	هانز أشتومه HANS	١٩٣٦م

(١) تم الاستعانة بإعداد هذه القائمة: عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، نجيب العقيقي: المستشرقون. وتم ترتيبهم حسب تاريخ الوفاة.

	ماكسيميليان Christian Maximilian Habicht			STUMME	
٧	يوهان جوتفريد كوزجارتن Gottfried Kosegarten	١٨٦٦م	٣٨	جورج جاكوب(يعقوب) Georg Jacob	١٩٣٦م
٨	فارنز فيبكة Franz Woepcke	١٨٦٤م	٣٩	جورج كمفماير Georg Kampffmeyer	١٩٣٦م
٩	فريدريخ روكرت Friedrich Rückert	١٨٦٦م	٤٠	برنهارد مورتس Bernhard Moritz	١٩٣٩م
١٠	غوستاف ليبرشت فْلوجِل Gustav Leberecht Flügel	١٨٧٠م	٤١	أوتو برتسل Otto Barthel	١٩٤١م
١١	أبراهام جيجر Abraham Geiger	١٨٧٤م	٤٢	أوجست فِشَر August Fischer	١٩٤٨م
١٢	ماركس جوزيف مولر Marcus Joseph Müller	١٨٧٤م	٤٣	ارنست اميل هرتسفلد Ernst Emil Herzfeld	١٩٤٨م
١٣	يوليوس هاينريش بيترمان Julius Heinrich Petrmann	١٨٧٦م	٤٤	يوليوس روسكا Julius Ruska	١٩٤٩م

١٤	يوليوس مول Julius Mohl	١٨٧٦م	٤٥	يوهان ياكوب هسّ Johann Jakob Hess	١٩٤٩م
١٥	أوجست اشميلدر August Schmelder	١٨٨٠م	٤٦	جوزيف هيل Joseph Hell	١٩٥٠م
١٦	يوهان أوجست فولرز Johann August Vullers	١٨٨٠م	٤٧	فريتس كرنكوف Fritz Krenkow	١٩٥٣م
١٧	كرستيان أشنور Christian Ashnor	١٨٨٢م	٤٨	كارل بروكلمان Carl Brockelmann	١٩٥٦م
١٨	يودور زنكر Theodor Zenker	١٨٨٤م	٤٩	جولدن أوبرمن Julian Obermann	١٩٥٦م
١٩	غوستاف فايل Gustav Weil	١٨٨٩م	٥٠	هانز هينرش شيدر Hans Heinrich Schaeder	١٩٥٧م
٢٠	اينريش توربكه Heinrich Thorbecke	١٨٩٠م	٥١	إينو ليتمان Enno Littmann	١٩٥٨م
٢١	آوغست مُولّر August Müller	١٨٩٢م	٥٢	بول كاله Paul Kahle	١٩٦٤م
٢٢	أدولف فريدريش فون Adolf Friedrich von Schack	١٨٩٤م	٥٣	ارنست كونل Ernst Kühnel	١٩٦٤م

٢٣	فيرديناند فستنفيلد Ferdinand Wüstenfeld	١٨٩٩م	٥٤	جوزيف شاخت Joseph Schacht	١٩٦٩م
٢٣	فريدريتش ديتريصي Friedrich Heinrich Dieterici	١٩٠٣م	٥٥	فرانز تيشنر Franz Taeschner	١٩٦٧م
٢٥	هانس لودوغ جوتشلك Hans Ludwig Gottschalk	١٩٠٤م	٥٦	أرون جريف Erwin Graf	١٩٧٠م
٢٦	جان غدفريد وتسشتين Johann Gottfried Wetzstein	١٩٠٥م	٥٧	ورنر كاسكل Werner Caskel	١٩٧٠م
٢٧	جاكوب بارت Jacob Barth	١٩١٤م	٥٨	هلموت رتّر Hellmut Ritter	١٩٧١م
٢٨	آدم متز Adam Metz	١٩١٧م	٥٩	جوزيف شاخت Joseph Schacht	١٩٦٩م
٢٩	يوليوس ڤلهاوزن Julius Wellhausen	١٩١٨م	٦٠	هانز ڤير Hans Wehr ١٩٨١م	١٩٨١م
٣٠	مارتن هرتمن Martin Hartmann	١٩١٨م	٦١	رودي بارت Rudi Bart	١٩٨٣م
٣١	فردريك كرن Friedrich Kern	١٩٢١م	٦٢	زيغريد هونكه Sigrid Hunke	١٩٩٩م

ملحق رقم (٢)

قائمة بأسماء الخلفاء العباسيين خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، وأمهاتهم وأصولهن[١].

م	الخليفة	فترة الحكم	اسم الأم	الأصل
١	المقتدر	٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٧-٩٣٢م	شغب	رومية
٢	القاهر	٣٢٠-٣٢٢هـ/٩٣٢-٩٣٣م	قبول	بربرية، وقيل:مغربية
٣	الراضي	٣٢٢-٣٢٩هـ/٩٣٢-٩٤٠م	ظلوم	رومية
٤	المتقي	٣٢٩-٣٣٣هـ/٩٤٠-٩٤٤م	خلوب أو زهرة	رومية
٥	المستكفي	٣٣٣-٣٣٤هـ/٩٤٠-٩٤٥م	غصن	رومية
٦	المطيع	٣٣٤-٣٦٣هـ/٩٤٥-٩٧٣م	شغلة	رومية
٧	الطائع	٣٦٣-٣٨٢هـ/٩٧٣-٩٩٢م	عتب	رومية
٨	القادر	٣٨٢-٤٢٢هـ/٩٩٢-١٠٣٠م	تمني أو يمني	مجهولة الأصل وقيل فارسية.

(١) تم الاستعانة عند إعداد هذه القائمة، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، السيوطي: تاريخ الخلفاء، سولاف فيض الله: دور الجواري والقهرمانات في دار الخلافة العباسية.

قائمة المصادر والمراجع[1]

أولا المصادر:

ابن الأثير" أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم، ت، ٦٣٠هـ/١٢٣٢م"

١ـ الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، عام ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

البغدادي" عبد القاهر بن طاهر بن محمود، أبو منصور البغدادي، ت: ٤٢٩هـ/١٠٣٧م"

٢. الفرق بين الفرق، تحقيق محمد عثمان الخشت، دار ابن سينا، القاهرة، ط١، د.ت.

البيروني " أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي، ت:٤٤٠هـ/١٠٤٨م"

٣ـ تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، عالم الكتب، بيروت، ط٢، عام ١٤٠٣هـ.

البيهقي" إبراهيم بن محمد البيهقي، ت بعد عام ٣٢٠هـ/٩٣٢م"

٤ـ المحاسن والمساوئ، تحقيق، عدنان علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، د.ت.

الجاحظ "عمرو بن بحر بن محبوب الكناني ، أبو عثمان، ت: ٢٥٥هـ/٨٦٨"

٥ـ رسائل الجاحظ، تحقيق، عبد السلام هارون، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، عام ١٩٦٤م.

ابن الجوزي" جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ت: ٥٩٧هـ /١٢٠٠م"

(١) تم ترتيب هذه القائمة هجائيا بعد استبعاد ابن ـ أبو ـ ال من أسماء وألقاب المؤلفين.

٦ـ **الضعفاء والمتروكون**، تحقيق، عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، ط١، عام ١٤٠٤هـ.

٧ـ **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢م.

ابن حجر" أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ت: ٨٥٢هـ /١٤٤٨م"

٨ـ **رفع الإصر عن قضاة مصر**، تحقيق، علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، عام ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

ابن حزم" أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي، ت: ٤٥٦هـ /١٠٧٢م"

٩ـ **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣.

ابن حوقل "محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، أبو القاسم ، ت: بعد ٣٦٧هـ/٩٧٧م"

١٠ـ **صورة الأرض** ، دار صادر، بيروت، د. ط، عام ١٩٣٨م.

أبو حيان التوحيد" علي بن محمد بن العباس البغدادي، ت: ٣١١هـ/٩٢٣م"

١١ـ **الرسالة البغدادية**، تحقيق عبود الشالجي، منشورات الجمل، بيروت، ط١، د.ت.

الخطيب البغدادي "أبو بكر أحمد بن على بن ثابت بن أحمد بن مهدي، ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م"

١٢ـ **تاريخ بغداد**، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، عام ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

ابن خلكان " أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم، ت: ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م"

١٣ـ وفيات الأعيان ، تحقيق ، إحسان عباس ، دار صادر، بيروت، ط٧، عام ١٩٩٤م.

الخوارزمي "محمد بن موسى، أبو بكر الخوارزمي الحنفي، ت، ٤٠٣ هـ/١٠١٢م"

١٤ـ رسائل الخوارزمي، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، تركيا، ط١، عام١٢٩٧هـ.

الذهبي "شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م"

١٥ـ تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تحقيق ، بشار عوّاد معروف ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، عام ٢٠٠٣ م.

١٦ـ سير أعلام النبلاء، تحقيق، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط٣، عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥.

الزبيدي" محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، ت: ١٢٠٥هـ /١٧٩٠م"

١٧ـ تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، بيروت، ط١، عام ١٤١٤هـ.

السيرافي" أبو زيد حسن بن يزيد السيرافي، ت: ٣٣٠هـ/٩٤١م"

١٨ـ رحلة السيرافي، نشر المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، ط١، عام ١٩٩٩م.

السيوطي" عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت:٩١١ هـ/١٥٠٥م"

١٩ـ تاريخ الخلفاء، تحقيق، حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، القاهرة، ط١، عام ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

الصابي" هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال ، ت:٤٤٨هـ/١٠٩٥م"

٢٠ـ تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق، خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام ١٤١٩هـ.

الصفدي" صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله ، ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م"

٢١ـ الوافي بالوفيات، تحقيق، أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت ط١، عام ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

الصولي "أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي، ت: ٣٢٥هـ/٩٣٦م"

٢٢ـ الأوراق، نشر شركة أمل، القاهرة، د.ط، عام ١٤٢٥هـ.

الطبري" محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، ت : ٣١٠هـ /٩٢٢م "

٢٣ـ تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، بيروت، ط٢، عام ١٣٨٧هـ.

ابن العبري" غريغوريوس بن أهرون بن توما الملطي، أبو الفرج، ت: ٦٨٥هـ/١٢٨٦م"

٢٤ـ تاريخ مختصر الدول، تحقيق، أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق، بيروت، ط٣، ١٩٩٢م.

عريب القرطبي" عريب بن سعد القرطبي الأندلسي، ت: ٣٦٩هـ٩٧٩م"

٢٥ـ صلة تاريخ الطبري، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، د.ت.

ابن عساكر "أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر،ت: ٥٧١هـ/١١٧٦م"

٢٦ـ تاريخ دمشق، تحقيق، عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ط١، عام ١٤١٥هـ /١٩٩٥ م.

ابن العماد" عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد الحنبلي، أبو الفلاح ، ت: ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م"

٢٧ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق ،محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه، عبد القادر الأرناؤوط ، دار ابن كثير، بيروت ، ط١، عام ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م.

ابن العمراني" محمد بن علي بن محمد، ت : ٥٨٠هـ/١١٨٤م"

٢٨ـ الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق، قاسم السامرائي، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط١، عام ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

الفارابي" أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، ت:٣٥٠هـ/٩٦١م"

٢٩ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ، بيروت، ط٤، عام ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

القشيري" عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، ت: ٤٦٥هـ/١٠٧٢م"

٣٠ـ الرسالة القشيرية، تحقيق، عبد الحليم محمود، ومحمود الشريف، دار الشعب، القاهرة، د.ط، عام ١٩٨٠م.

القفطي" جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، ت: ٦٤٦هـ /١٢٦٥م"

٣١ـ إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام ٢٠٠٥م.

القلقشندي" أحمد بن علي بن أحمد الفزاري ، ت: ٨٢١هـ/١٤١٨م"

٣٢ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، د.ت.

الماوردي" أبو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردي، ت:٤٥٠هـ/١٠٥٨م"

٣٣ـ الأحكام السلطانية في الولايات الدينية، تحقيق، أحمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة، الكويت، ط١، عام١٤٠٩هـ /١٩٨٩م.

مجهول (توفى، بعد ٣٧٢هـ/٩٨٢م)

٣٤ـ حدود العالم من المشرق إلى المغرب ،محقق ومترجم الكتاب عن الفارسية ، السيد يوسف الهادي ، الدار الثقافية للنشر، القاهرة ، ط١ ، عام١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

المسعودي " أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي، ت، ٣٤٦هـ/٩٥٧م"

٣٥ـ التنبيه والأشراف، دار الصاوي، القاهرة، ط١، د.ت.

٣٦ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق، أسعد داغر، دار الهجرة، العراق، ط١، عام ١٤٠٩هـ.

ابن مسكويه "أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه ،ت: ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م"

٣٧ـ تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق، أبو القاسم إمامي، سروش، طهران، ط٢، عام ٢٠٠٠م.

المقدسي "أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري، ت،٣٨٠هـ /٩٩٠م"

٣٨ـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة،ط٣،١٤١١هـ/١٩٩١م.

المقريزي" أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني ، تقي الدين، ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م"

٣٩ـ اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق ، جمال الدين الشيال، ومحمد حلمي محمد أحمد، نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، ط١، عام ١٩٩٦م

٤٠ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١، عام ١٤١٨هـ.

ابن منظور " محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل جمال الدين ت:٧١١هـ/١٣١١م"

٤١ـ لسان العرب ، دار صادر، بيروت ، ط٣،عام ١٤١٤هـ.

النحاس "أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، ت:

٣٣٨هـ/٩٣٩م"

٤٢ـ **عمدة الكتاب**، تحقيق، بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، عام ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

النويري" أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم ، ت: ٧٣٣هـ/١٣٣١م"

٤٣ـ **نهاية الأرب في فنون الأدب**، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١،عام ١٤٣٢هـ.

ابن هبيرة "يحيى بن هُبَيْرَة بن محمد الذهلي الشيبانيّ، ت: ٥٦٠هـ/١١٦٤م"

٤٤ـ **اختلاف الأئمة العلماء**، تحقيق، السيد يوسف أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام ٢٠٠٢م.

الهمذاني" أحمد بن الحسين بن يحيى بديع الزمان الهمذاني ، ت: ٣٩٨هـ/١٠٠٧م"

٤٥ـ **مقامات بديع الزمان الهمذاني**، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة الأزهرية، القاهرة، ط١،عام ١٩٢٣م.

الهمذاني" محمد بن عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد، أبو الحسن الهمذاني المعروف بالمقدسي، ت: ٥٢١هـ/١١٢٧م"

٤٦ـ **تكملة تاريخ الطبري**، تحقيق، ألبرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت، ط١، عام ١٩٥٨م.

اليافعي "أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان، ت: ٧٦٨هـ /١٣٦٦م"

٤٧ـ **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان** ، وضع حواشيه: خليل

المنصور ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١، عام ١٩٩٧م.

ياقوت الحموي "شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م"

٤٨ـ **معجم البلدان** ، دار صادر، بيروت ط٢، عام ١٩٩٥ م.

اليعقوبي "أحمد بن إسحاق(أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح، ت: بعد ٢٩٢هـ/٩٠٤م"

٤٩ـ **تاريخ اليعقوبي**، تحقيق، عبد الأمير مهنا، دار الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، عام ٢٠١٠م.

ثانيا المراجع العربية:

أحمد مختار عمر(دكتور)

١ـ **معجم اللغة العربية المعاصرة** ،عالم الكتب، بيروت، ط١، عام١٤٢٩هـ /٢٠٠٨م.

إبراهيم رزق أيوب(دكتور)

٢ـ **التاريخ الفاطمي الاجتماعي**، نشر الشركة العالمية، للكتاب، لبنان، ط١، عام ١٩٩٧م.

إدوارد سعيد(دكتور)

٣ـ **الاستشراق**، ترجمة محمد عناني، نشر دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة ، ط١، عام ٢٠٠٦م.

إسماعيل علي محمد(دكتور)

٤ـ **الاستشراق بين الحقيقة والتضليل** " مدخل علمي لدراسة الاستشراق" ، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٦، عام ٢٠١٤م.

أبو زيد شلبي(دكتور)

٥ـ **تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي**، مكتبة وهبة ، القاهرة، د. ط، عام ٢٠٠٨م.

أحمد حسن الزيات

٦ـ **تاريخ الأدب العربي**، دار نهضة مصر، القاهرة، ط١، د.ت.

أحمد فائق(دكتور)

٧ـ **الأمـراض النفسـية الاجتماعيـة**، مكتبـة الأنجلـو المصـرية، القـاهرة، ط١، عام٢٠٠١م.

أمجد يونس الجنابي(دكتور)

٨. **آثار الاستشراق الألماني في الدراسات القرآنية**، نشر مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، ط٢، عام ٢٠١٥م.

تيسير محمد شادي(دكتور)

٩ـ الفسـاد فـي الدولـة الفاطميـة" مؤسسـة شـباب الجامعـة، الإسـكندرية، ط١، د.ت.

حسن منيمنة(دكتور)

١٠. **تاريخ الدولـة البويهيـة السياسـي والاقتصـادي والاجتمـاعي والثقـافي**، الدر الجامعية للمطبوعات، د.ط، عام ١٩٨٧م.

خير الدين الزركلي

١١ـ الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥، عام ٢٠٠٢م.

رضوان السيد(دكتور)

١٢ـ المستشرقون الألمـان" النشـوء والتـأثر والمصـائر"، دار المدار الإسـلامي، بيروت، ط٢، عام ٢٠١٦م.

ساسي سالم الحاج(دكتور)

١٣ـ نقـد الخطـاب الاستشـراقي" الظـاهرة الاستشـراقية وأثرهـا فـي الدراسـات الإسلامية"، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط١، عام٢٠٠٢م.

سعيد أبو العينين(دكتور)

١٤ـ حكايات الجواري في قصور الخلافة، نشر دار أخبار اليوم، القاهرة، ط١، عام ١٩٩٨م.

سهيل زكار(دكتور)

١٥ـ الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق، ط١، عام ١٩٩٥م.

سولاف فيض الله حسن(دكتورة)

١٦ـ دور الجواري والقهرمانات في دار الخلافة العباسية، نشر مكتبة عدنان، بغداد، ط١، عام ٢٠١٣م.

السيد أدي شير

١٧ـ معجم الألفاظ الفارسية المعربة، دار العرب، القاهرة، ط٢، عام ١٩٨٨م.

سيده إسماعيل كاشف(دكتورة)

١٨ـ مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، دار الرائد العربي ـ بيروت، د.ط ، عام ١٩٨٣م.

شوقي ضيف(دكتور)

١٩ـ **تاريخ الأدب العربي**، دار المعارف، مصر، ط٧، د. ت.

صلاح الدين المنجد(دكتور)

٢٠ـ المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، عام ١٩٨٧م.

صلاح الدين عاشور(دكتور)

٢١ـ الاستشراق والمستشرقون بين الهوى والتجرد، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، ط١، عام ٢٠٢١م.

عبد الرحمن بدوي(دكتور)

٢٢ـ موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، عام ١٩٩٣م.

عدنان محمد وزان(دكتور)

٢٣ـ **الاستشراق والمستشرقون(وجهة نظر)**،نشر رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، عام ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

علي حسن غضبان(دكتور)

٢٤ـ **البويهيون في فارس**، نشر، مكتبة عدنان، بغداد، ط١، عام ٢٠١٤م.

علي مبارك

٢٥ـ **النثر الفني في القرن الرابع الهجري**، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ط١، عام ٢٠١٣م.

عمر رضا كحالة

٢٦ـ **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، د.ت.

فهيم حافظ الديناصوري(دكتور)

٢٧ـ **أحمد أمين وأثره في اللغة والنقد الأدبي**، نشر مكتبة فيصل الإسلامية، ط١، عام ١٩٨٦م.

قاسم السامرائي(دكتور)

٢٨ـ **الاستشراق بين الموضوعية والإفتعالية**، منشورات دار الرفاعي، سوريا، ط١، عام ١٩٨٣م.

مالك بن نبي

٢٩ـ **إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث**، دار الإرشاد للطباعة، بيروت ، ط١، عام ١٩٦٩م.

محمد بن طاهر البرزنجي(دكتور)

٣٠ـ **صحيح وضعيف تاريخ الطبري**، دار ابن كثير، بيروت، ط١، عام ٢٠٠٧م.

محمد رجب البيومي(دكتور)

٣١ـــ **أحمـــد أمـــين مـــؤرخ الفكـــر الإســـلامي**، دار القلـم، دمشـق، ط١، عام ٢٠٠١م.

محمد سهيل طقوش(دكتور)

٣٢ـ **الدولة العباسية**، دار النفائس، بيروت، ط٧، عام ٢٠٠٩م.

محمد عبد الله عنان(دكتور)

٣٣ـ **الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، عام ١٩٨٣م.

محمود حمدي زقزوق(دكتور)

٣٤ـ **الاستشراق والخليفة الفكرية للصراع الحضاري**، دار المعارف، القاهرة، ط١، د.ت.

محمود شاكر(دكتور)

٣٥ـ **موســـوعة التـــاريخ الإســـلامي**، المكتـب الإسـلامي، بيـروت، ط٢، عام ١٩٩٤م.

محمود عبد الفتاح أبو طه (دكتور)

٣٦ـ **آراء ول ديورانت حول الحضارة الإسلامية**(دراسة تحليلية نقدية في كتاب قصـة الحضـارة)، منشـورات مجمـع البحـوث الإسـلامية، مصـر، ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م

مصطفى جواد(دكتور)

٣٧ـ **دليل خارطة بغداد المفصل قديمًا وحديثًا**، مطبعة المجمع العلمي العراقي، د. ط، عام ١٩٥٨م.

٣٨ـــ **ســـيدات الـــبلاط العباســـي**، دار الكشـاف للطباعـة والنشـر، بيـروت، د. ط، عام ١٩٥٠م.

نجيب إسحاق عبد الله محمد(دكتور)

٣٩. **سيكولوجية البغاء " دارسة نظرية وميدانية"**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، عام ١٩٨٤م.

نجيب العقيقي(دكتور)

٤٠. **المستشرقون**، دار المعارف، القاهرة، ط٣، عام ١٩٦٤م.

نريمان عبد الكريم(دكتورة)

٤١ـ **المرأة في العصر الفاطمي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، عام ١٩٩٢م.

نيقولا زيادة(دكتور)

٤٢. **الحسبة والمحتسب في الإسلام**، الدار الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، د.ت.

يحيى شامي(دكتور)

٤٣. **موسوعة المدن العربية والإسلامية**، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، عام ١٩٩٣م.

يحيى مراد(دكتور)

٤٤. **معاجم أسماء المستشرقين**، نشر المؤلف، ط١، د.ت.

ثالثا: المراجع المعربة:

آدم متز

١ـ **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، ترجمة ، محمد عبد الهادي أبو ريدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، عام ٢٠١٣م.

رينهارت بيتر آن دُوزِي

٢ـ **تكملة المعاجم العربية**، ترجمه، محمد سليم النعيمي، وجمال خياط، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ط١، عام ١٩٧٩م.

رودي بارت

٣ـ **الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية**" المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه"، ترجمة مصطفى ماهر، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، عام ٢٠١١م.

ستيفن رانسيمان

٤ـ **تاريخ الحملات الصليبية**، ترجمة، نور الدين خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، د.ت

كارل بروكلمان

٥ـ **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة، عبد الحليم النجار، رمضان عبد التواب، دار المعارف ، ط٥، عام ١٩٧٧م.

هيو كينيدي

٦ـ **بلاط الخلفاء قيام و سقوط أعظم أسرة حاكمة في الإسلام**، ترجمة وتقديم : فائزة إسماعيل أكبر المركز القومي للترجمة، ط١، عام ٢٠٠٩م.

ويستنفلد

٧ـ **جدول السنين الهجرية بلياليها** وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها ، ترجمة، عبد المنعم ماجد وعبد المحسن رمضان، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط١، عام ١٩٨٠م.

رابعا: الرسائل العلمية والأبحاث المنشورة:

إبراهيم محمود فرج

١ـ **الخليفة العباسي الأمين محمد بن هارون الرشيد**، رسالة ماجستير، بكلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، عام٢٠١٣م.

تيسير محمد شادي

٢ـ **النساء في عهد الخليفة المقتدر العباسي** (شغب أنموذجا) بحث منشور بمجلة كلية الآداب، جامعة بنها، العدد٢٧، عام ٢٠١٧م.

سحر جاسم الطريحي

٣ـ **الدراسات القرآنية في الاستشراق الألماني**، رسالة دكتوراه، جامعة الكوفة، العراق، عام ٢٠١٢م.

محمد عبد الله المعموري

٤ـ **الخصيان والمترجمة في الدولة العربية الاسلامية** حتى عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م– دراسة في أوضاعهم السياسية والاجتماعية والفكرية، بحث منشور بمجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العدد١٥، عام ٢٠١٤م.

مها عبد الله الشرقي

٥ـ **موقف الخليفة الحاكم بأمر الله من النساء**، بحث منشور بمجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، العدد١، مجلد ٤٤، عام٢٠١٩م.

ميشيل جحا

٦ـ **الاستشراق الألماني في القرن العشرين**، بحث منشور بمجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد، بيروت، عام ٢٠٠١م.

يحيى عبد الرؤوف جبر

٧ـ **الاستشراق في جامعة توبنجن الألمانية**(المعهد الشرقي)، بحث منشور ضمن منشورات عالم الكتب، الرياض، عام١٩٩٤م.

خامسا: الموسوعات:

الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف ومراجعة: مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ط٤، ١٤٢٠هـ.